العدد التاسع

روايات مصرية للجيب

كوكتيل

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

الزائر الغامض

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكيـل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

الدخان

(قصة قصيرة)

« انت تدخن اكثر مما ينبغى .. »

رفع الأستاذ (فؤاد) عينيه إلى صاحب العبارة ، وبدا له وجه صاحبها مالوفا ، وإن لم يذكر الأستاذ (فؤاد) ابدا انهما قد تحدثا من قبل ، على الرغم من انهما يستقلان معا قطار السابعة كل صباح ، من مدينتهما (دمنهور) حيث يقيمان ، إلى (الإسكندرية) ، مكان عملهما .

وهذا النوع من المعرفة يطلق عليه اسم (صداقة القطار) ..

تلك الصداقة التى تنشأ مع المشاركة فى السفر والانتظار ، وتربط بين عدد من المسافرين المزمنين ، الذين شاء قدرهم ان يقيموا فى مدن تختلف عن تلك التى يعملون فيها ، فاضطروا للالتزام برحلة سفر يومية إجبارية ، لا تنقذهم منها سوى أيام الإجازات الرسمية ، والعرضية . .

واحتراما لصداقة القطار هذه ، وعلى الرغم من ان الأستاذ (فؤاد) يكره من يتدخلون فى شئونه ، فقد ابتسم فى هدوء ، وقال :

ـ ليس كثيرا إلى هذا الحد .

جلس صاحب العبارة على المقعد المجاور للأستاذ (فؤاد) ، وبادله ابتسامته ، وهو يقول :

ـ بل هو كثير بالفعل . . صدقنى . . انا طبيب متخصص فى امراض الصدر ، وادرك جيدا متاعب التدخين .

غمغم الأستاذ (فؤاد) :

ـ إنها مجرد عادة ، و . . .

قاطعه الطبيب مبتسما :

ـ ولكنها تنهك صحتك وقواك ، وتستهلك حتى اموالك . .

قل لى : الم تفكر فى الإقلاع عن عادة التدخين هذه .

قال الأستاذ (فؤاد) ، وهو يطفىء سيجارته :

ـ لقد حاولت فى الواقع اكثر من مرة ، وفشلت .

مال الطبيب نحوه ، قائلا فى اهتمام :

ـ لدى وسيلة مضمونة .

أثار حماسه الأستاذ (فؤاد) ، فسأله :

ـ ما هى ؟

اندفع الطبيب يقول فى حماس :

ـ هل تعرف الكمون ؟. . كلنا نعرفه بالطبع . . احضر منه كمية كبيرة . . حوالى النصف كيلوجرام ، واطحنها حتى تصبح مسحوقا خشنا . . هل تتابعنى ؟

أجابه الأستاذ (فؤاد) فى اهتمام :

ـ نعم . . اكمل .

اكمل الطبيب :

ـ وبعدها أحضر علبة سجائر ، وافرغ ما بها من تبغ ، واضف إلى تبغ السيجارة الأولى ربع محتوياتها كمونا ، وإلى الثانية النصف ، وزد الكمية إلى ثلاثة ارباع المحتويات فى الثالثة ، واملأ الرابعة وما يليها بمسحوق الكمون الصافى ، وابدأ بتدخين السيجارة الأولى فى اليوم الأول ، ثم الثانية فى الثانى ، وهكذا . . وفى اليوم الخامس لن تجد لديك ميلا للتدخين .

ظلت هذه الوصفة تلح على راس الأستاذ (فؤاد) طيلة عمله ، وزاد إلحاحها عندما لهثت انفاسه ، وهو يصعد فى درجات سلم منزله ، فى اليوم التالى ، وتذكر رجاء زوجته ، وإلحاحها عليه ليحاول الامتناع عن التدخين ، وراح يحسب كم ينفق على سجائره شهريا . .

وفى المساء ، استقر رايه على تنفيذ الفكرة . .

وبكل الحماس ، ابتاع الأستاذ (فؤاد) نصف الكيلوجرام من الكمون ، وراح يطحنه متبعا النصيحة ، ويضيف إلى السيجارة الأولى ربع حجمها كمونا ، وهكذا ..

وفى الصباح التالى ، اتجه الأستاذ (فؤاد) إلى القطار ، وعلبـة السجائر ذات التبـغ المخـلوط بالكمون فى جيب قميصه ..

وفى القطار بحث ببصره عن الطبيب ، ولكنه لم يجده ، فاتخذ مقعده ، وانتظر حتى غادر القطار المحطة ، ثم اخرج السيجارة الأولى ، واشعلها ..

وتصاعدت رائحة الكمون المحترق فى عربة القطار ..

والتفتت العيون كلها إلى الأستاذ (فؤاد) ..

وحملت كل الاستنكار والغضب ..

وفى اليوم التالى ، عندما التقى الأستاذ (فؤاد) بالطبيب ، لم يتبادلا حرفا واحدا ..

كان الطبيب يبتسم فى خبث ..

وكانت عين الأستاذ (فؤاد) اليسرى نصف مغلقـة ، تحيط بها كدمة زرقاء ..

ولقد نجحت الوصفة ..

وامتنع الأستاذ (فؤاد) عن التدخين ..

فى القطار على الأقل ..

اختبر معلوماتك

عزيزى القارىء ..

هل سبق لك ان سالت نفسك : كم تعرف عن تاريخك القديم ؟..

هل سالت نفسك مرة : اية ثقافة تمتلك حول ماضيك ؟..

فى هذه المرة ستجيب عن هذه الأسئلة ، لتختبر معلوماتك ، ولتعرف : هل انت عربى مخلص ؟..

وهل انت مثقف ؟

١ ـ العربى الذى ترجم كتب (ارشميدس) و (بطليموس) هـو :

- ☐ ابو فراس الحمدانى .
- ☐ ابو الحسن ثابت الحرانى .
- ☐ عمر بن ابى ربيعة .

٢ ـ مؤلف (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) هو :

- ☐ محمد بن أحمد بن إياس .
- ☐ ابو البركات الانبارى .
- ☐ عبد الحميد بن ابى الحديد .

٣ – من أشهر مؤلفات (ابو الحسن المسعودى) :
☐ دورة العرب . ☐ التنبيه والإشراف .
☐ معجزة الإسلام .

٤ – ولد (صلاح الدين الأيوبى) فى عام :
☐ ١١١٠ م . ☐ ١١٩٣ م .
☐ ١١٣٧ م .

٥ – أول من حكم (لبنان) من الشهابيين هو :
☐ الأمير (حيدر) . ☐ الأمير (ارسلان) .
☐ الأمير (شكيب) .

٦ – الرجل الذى بنى الجامع الأزهر هو :
☐ عمرو بن العاص . ☐ سيف الدين قطز .
☐ جوهر الصقلى .

٧ – يطلق اسم (المعلم الثانى) على :
☐ ابن رشد . ☐ الفارابى .
☐ خليل السكاكينى .

٨ – اهم شعراء المشرق تأثيرا فى الغرب هو :
☐ المتنبى . ☐ الأعلم الشنتمرى .
☐ ابن سيده .

٩ – أصدر (عبد الله النديم) مجلة تحمل اسم :
☐ المقتطف . ☐ البيان .
☐ التنكيت والتبكيت .

١٠– فتح العرب (الأندلس) عام :
☐ ٧١١ م . ☐ ٧٢٠ م .
☐ ٦٩٦ م .

١١– مؤلف (القانون) فى الطب هو :
☐ محيى الدين أبو بكر بن عربى .
☐ أبو على الحسين بن سينا .
☐ عمر بن الفارض .

١٢– اشهر الرحالة العرب هو :
☐ ابن بطوطة . ☐ ابن البيطار .
☐ ابن تغرى بردى .

١٣– آخر ملوك (غرناطة) العرب هو :
☐ ابن الأحمر . ☐ ابو عبد الله .
☐ أبو الحسن .

١٤– صاحب لقب (فارس الشعراء ، وشاعر الفرسان) هو :
☐ عنترة بن شداد . ☐ على الزيبق المصرى .
☐ ابو فراس الحمدانى .

١٥– الاسم الحقيقى لـ (ابى لهب) هو :
☐ عبد العزى بن عبد المطلب .
☐ عبد مناف بن عبد المطلب .
☐ ابو طالب بن عبد المطلب .

١٦– انتصر (اوكتافيوس) على اسطول (كليوباترا) و (انطونيوس) فى موقعة :
☐ الدير البحرى . ☐ اكتيوم .
☐ أبو قير البحرية .

١٧- صاحب كتاب (نزهة المشتاق ، فى اختراق الآفاق) هـو :

☐ أبو عبد الله الإدريسى .
☐ أبو عمر بن العلاء . ☐ أبو العتاهية .

١٨- اشهر مؤلف لـ (أبى الفرج الأصفهانى) هو :

☐ الأمثال . ☐ شرح ديوان الخرنق .
☐ الأغانى .

١٩- انشأ (عز الدين أيبك) دولة عرف عهدها باسم عهد :

☐ البراجنة . ☐ المماليك .
☐ الأيوبيين .

٢٠- اشهر بحار عربى فى التاريخ هو :

☐ ابن ماجد . ☐ ابن النبيه .
☐ ابن النديم .

* * *

الآن وبعد ان اجبت عن الاسئلة السابقة ، او راجعت الأجوبة فى ص (٢٠٦) عليك أن تجيب عن سؤالنا التقليدى :

* هل انت مثقف ؟

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

ملخَّص ما سبق نشره

فى أثناء مطالعتها لإحدى المجلات الفنية، فوجئت (غادة)، زميلة (نديم فوزى)، بصورة لـ (جيلان شوكت)، سيِّدة الأعمال والمجتمع الشهيرة، وأكَّدت لـ (نديم) أن (جيلان) هذه هى نفسها (فوقية)، المزوِّرة الشهيرة، التى شاع مصرعها منذ عشر سنوات، بعد أن قتلت أم (غادة) بنفسها..

وبعدها بدأ صراع (العقرب)، للإيقاع بـ (جيلان شوكت) فى قبضة القانون..

ولم تكن (جيلان) بالخصم الهيِّن، فلقد قاتلت دفاعًا عن نفسها بكل شراسة، واقتحم (العقرب) منزل سكرتيرها الخاص (هانى)، ولكنه لم يجد لديه مايكفى من معلومات، فى حين زاره (أكرم منصور)، محامى (جيلان) الخاص فى مكتبه، وتعرَّف (غادة)..

وبدأ فصل جديد من الصراع..

واختطفت (جيلان) (غادة)، وطلبت من (نديم) مقابلتها فى مكتب (أكرم)، للتفاوض بشأن استعادة (غادة)، مقابل بعض الوثائق، التى ادعت (غادة) احتفاظها بها، وقدرتها على إدانة (جيلان)..

وخاض (نديم) حربًا شعواء، فى زِىِّ (العقرب)، حتى يصل إلى (جيلان)، التى نجحت فى أسره، وكشفت عنه قناعه، ثم أفقدته الوعى..

وفى لحظة واحدة، أصدرت (جيلان) أوامرها لرجالها بربط حجر كبير على جسد (نديم)، وإلقائه فى النيل، وبذبح (غادة) أيضًا..

وبدأ تنفيذ الأمرين(*)..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأوَّل من (الامبراطورة)، فى العدد الثامن من (بوكتيل ٢٠٠٠).. (التحقيق).

١ ــ قتل .. وقتل ..

تطلع العقيد (مجدى) إلى وجه رئيـــه اللواء (حلمى) فى حيرة ، قبل ان يزدرد لعابه فى صوت مسموع ، ويسأله فى حيرة تحمل نبرة استنكار :

ــ ماذا تعنى يا سيدى ، بانه من المحتمـــل أن (چيلان شوكت) لم تكن هى نفسها (چيلان شوكت) ، منذ عشر سنوات ؟!

أجابه اللواء (حلمى) فى عدوء :

ــ لقد درست ما ناقشناه معا ، بشأن اهتمامات (العقرب) الاخيرة بـ (چيلان شوكت) ، وتوصلت إلى انه ما دمنا لم نجد شيئا يدين (چيلان) منذ ظهورها على ساحة المجتمع وعالم الأعمال ، فمن المحتمل انها لم تكن تحمل هذا الاسم من قبل .

عقد (مجدى) حاجبيه طويلا ، وهو يفكر فى هذا الاحتمال ، ويقلبه على كل الوجوه ، ثم قال فى حزم :

ــ لا يا سيدى .. هذا الاحتمال غير وارد تقريبا .

سأله فى اهتمام :

ــ لمـاذا ؟

قلب (مجدى) الملفات التى امامه ، وانتزع من بينهـا واحدا ، وهو يقول :

ــ لأننى ارسـلت اطلب معـاونة الســلطات التركية ، وها هو ذا الملف ، الذى ارسلوه من (اسطنبول) ظهر اليوم .

فتح الملف فى سرعة وانفعال ، مستطردا :

ــ إنهم يقولون إن (چيلان شوكت) شخصية معروفة لديهم ، وانها مصرية الجنسية ، تزوجت منذ خمسة عشر عاما من ثرى تركى ، يدعى (عاصم شوكت) ، ومنه حصلت على اسمها الثانى ، ولقد كانت إحدى سيدات المجتمع فى (اسطنبول) ، حتى وفاة زوجهـا ، منـذ احد عشر عاما تقريبا ، حيث خاضت سلسلة من القضايا والمشكلات المعقدة مع أسرته ، بشأن نصيبها من الميراث ، خاصة وانها لم تنجب منه اطفالا ، وفى النهاية حصلت على مائة الف دولار ، وعادت إلى (القاهرة) منذ عشر سنوات وما يقل قليلا عن نصف السنة ، حيث بدأ نجمها يلتمع ، فى عالم الأعمال ، ودنيـا المجتمع .

استمع إليه اللواء (حلمى) فى اهتمام بالغ ، ثم غمغم :

ــ مائة الف دولار ؟!.. فقط ؟!

ومال نحو (مجدى) ، مستطردا :

ــ قل لى : كيف يمكن لرجل اعمال ، مهما بلغ من الذكاء والحنكة والحكمة ، أن يصنع إمبراطورية اقتصادية هائلة ، كالتى صنعتها (چيلان شوكت) فى عشرة أعوام ، برأس مال لا يزيد على مائة الف دولار ؟

هز (مجدى) كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى ، فمعلوماتى عن الاقتصاد اضعف مما يمكن ان تتصور يا سيدى ، ولكن يمكننا استشارة الزملاء فى إدارة الأموال العامة ، او التهرب الضريبى ، او ...

قاطعه (حلمى) بإشارة من يده ، وقال فى حزم :

– إنه مجرد تساؤل .

وصمت لحظة ، ثم اضاف فى تفكير عميق :

– او طرف خيط ..

* * *

ابتسم المجرم الضخم الجثة فى شماتة ، وتالقت عيناه فى شراسة ، وهو يشحذ خنجره ، ويتطلع إلى (غادة) قائلا :

– كم يسعدنى أن اتت الأوامر بقتلك ، سيروق لى كثيرا ان اذبحك .

اجابته فى سخرية ، على الرغم من الدماء التى ترتجف فى عروقها :

– كان ينبغى أن تستدعى بعض رجال الصحافة ، لتسجيل هذه اللحظة التاريخية ، فإنها اول مرة يذبح فيها الخروف واحدة من البشر ، على عكس المألوف .

كشر عن انيابه ، وهو يقول :

– إننى اكره أن تسخر منى امراة ، ولكننى سأغفر لك هذا ، وساعتبره مجرد هذيان امراة تحتضر .

قالت متهكمة :

– بل هو نوع من الغزل الساخر ، مثلما يحدث بين اى شخص وحماره .

زمجر فى غضب ، وجذبها من شعرها فى قوة ، ورفع خنجره ، هاتفا :

– لن اغفر المزيد .. هيا .. اخبرينى : ما الوسيلة التى تختارينها للموت ؟

صاحت فى سخرية :

– الشيخوخة .

قالتها وانثنى جسدها فى سرعة ومرونة مذهلتين ، ووثبت قدميها إلى اعلى ؛ لتركل وجه الرجل فى عنف ، وتلقيه ارضا ..

وسقط الرجل كالثور ، وارتطم بالأرض فى قوة ؛ ثم صرخ :

– أيتها اللعينة !

ولكنه لم يكد يعتدل واقفا ، حتى وجد نفسه ، على الرغم منه ، يحدق فيها فى ذهول ، فلم تكن تجلس على المقعد ، الذى قيدها بنفسه إليه ، وإنما كانت تقف أمامه بابتسامة ساخرة ، وقيودها ملقاة عند قدميها ..

وهتف المجرم ذاهلا :

– ولكن القيود !!

اجابته (غادة) :

ـ من حسن حظى وسوء حظك اننى نجحت فى حلهـا منذ دقيقة واحدة .

تقافز الغضب من كل خلية من خلايا وجهه ، وهو يرفع خنجره ، وينقض عليها ، صارخا :

ـ لن تفلتى .

على الرغم من أن حجمه كان يفوق ثلاثة امثال حجمها ..

او لهذا السبب بالذات ..

فقـد تفـادت (غادة) انقضاضته فى مرونة ، وتركته يتجاوزها ، ثم هوت على مؤخرة عنقه بحافة يدها ، وهى تقول :

ـ تماما مثلما يحدث فى مصارعة الثيران ..

وقفزت لتركل عموده الفقرى بقدمها ، مستطردة :

ـ لابد من إنهاك الثور اولا ..

وجمعت قبضتيها ، لتهوى بهما على عنقه ، وهى تختم عبارتها :

ـ قبل القضاء عليه .

اطلق الرجل خوارا جعله اشبه بالثور فعـلا ، قبل ان يسقط على وجهه ، ويفقد وعيه تماما ..

وبابتسامة ساخرة ، قالت (غادة) :

ـ لمـاذا يصرون دائما على العمل مع ثيران غبية ؟

وفى هدوء ، انحنت تلتقط سلسلة مفاتيح المجرم ، وهى تقول :

ـ أتعشم أن تكون من نوع الثيران المنظمة ، التى تحتفظ بكل مفاتيحها فى سلسلة واحدة .

ابتسمت عندما وجدت مفتاحى المنزل والسيارة فى حلقة المفاتيح ، ولوحت بيدها للمجرم الملقى ارضا ، وهى تقول :

ـ وداعا يا ملك الثيران .

غادرت المنزل فى هدوء ، واستقلت السيارة ، ولم تكد تدير محركها حتى وجدته امامها ..

ذلك المجرم الضخم الجثة ، وقد استعاد وعيه ، ولحق بها ، وبدا وجهه اشبه بلوحة مثالية للغضب ، وهو يصوب إليها مسدسه ، ويصرخ :

ـ قلت لن تفلتى .

وضغط الزناد ..

* * *

أوقف رجلا (چيلان) سيارتهما فى منطقة خالية ، عند كورنيش النيل ، وتلفتا حولهما فى حذر ، ثم فتحا حقيبـة السيارة الخلفية ، واخرجا منهـا جسد (نديم) الفـاقد الوعى ، وارقداه ارضا ، ثم تعاونا على إخراج حجر ضخم ، وضعاه إلى جوار (نديم) ، وقال احدهما وهو يلهث :

ـ اسرع يا رجل . .حاول ان تنتهى من المهمة فى سرعة ، قبل ان ينتبه اى عابر سبيل لمـا نفعل .

قال زميله ، وهو ينحنى ؛ ليربط الحجر بحبل سميك ، فى رقبة (نديم) :

ـ اطمئن ، لن يستغرق الأمر دقيقة واحدة .

سمع فجاة صوتا يقول فى برود :

ـ هل تراهن ؟

اعتدل الرجل فى حركة حادة ، وهو يحدق فى وجه (نديم) ، الذى لفظ العبارة السابقة ، فى حين قفزت يد زميله نحو مسدسه ، وهو يهتف :

ـ يالله !!

قبل أن ينطق ما كان ينتوى نطقه ، انطلقت قبضة (نديم) نحو فكه كالقنبلة ، وسمع المجرم الآخر صوت ارتطام مكتوم ، وشاهد زميله يسقط ارضا ، والدماء تندفع من انفه وفمه فى غزارة ، فقفز واقفا ، وصاح :

ـ اى شيطان انت ؟

وثب (نديم) واقفا على قدميه ، وهو يقول :

ـ ما رايك انت ؟

وقبل ان ينتهى آخر حرف من حروف عبارته ، كانت قدمه تركل وجه المجرم فى عنف ، ثم ترتفع فى مهارة مدهشة ، لتركل انفه ، فى تتابع فائق السرعة ..

وكحجر اصم ، سقط المجرم فاقد الوعى ..

وفى هدوء شديد ، اتجه (نديم) نحو السيارة ، وانطلق بها مبتعدا ،وهو يقول لنفسه :

ـ لقد نجوت هذه المرة ايضا يا (نديم) ، ولكنك فقدت سرية شخصيتك .. فقدتها إلى الابد .

وامتلأت نفسه بالمرارة ..

* * *

لم تكد (غادة) ترى ذلك المسدس المصوب إلى راسها ، عبر زجاج السيارة الأمامى ، حتى ضغطت دواسة الوقود ، ورفعت قدمها عن الكامح فى مهارة ، اكتسبتها من عملها بالشرطة ، وقيادتها سيارتها الخاصة لسنوات ..

واطلق المجرم النار ..

وانحنت (غادة) على نحو غريزى ..

واخترقت الرصاصة زجاج السيارة الأمامى ، ومرقت فوق راس (غادة) ، وارتطمت بالزجاج الخلفى ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها (غادة) بالسيارة نحو المجرم ، الذى اتسعت عيناه فى رعب ، وصرخ :

ـ لا .. ليس ..

وارتطمت به مقدمة السيارة ، واطاحت به بعيدا ، وهو يطلق صرخة الم مدوية ، و (غادة) تنطلق بعيدا ..

لقد نجت هذه المرة ..

تقريبا ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق صباحا ، عندما اندفعت (غادة) إلى حجرة (نديم) ، فى مكتبه الخاص ، وهتفت :

ـ كنت اعلم اننى ساجدك هنا .

تالقت عيناه فى ارتياح وسعادة ، وإن بدا شديد الهدوء ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويلتقط كفها فى راحته ، قائلا :

ـ (غادة) !.. لقد نجوت إذن .. حمدا لله .

سألته فى جزع :

ـ قل لى أولا ماذا اصابك ؟.. إنك تبدو شاحبا ، على نحو يثير القلق .

عاد يجلس خلف مكتبه ، وشبك اصابع كفيه امام وجهه ، وقال :

ـ لقد خسرت سرية شخصيتى .

اطلقت شهقة قوية ، وهى تلقى نفسها على اقرب مقعد لمكتبه ، هاتفة :

ـ يا إلهى !.. كيف حدث هذا ؟

روى لها ما حدث فى اقتضاب ، واستمعت هى إليه فى توتر بالغ ، ثم هتفت :

ـ يا للعينة !.. كأنما تعلم فعلا من انت !

اومأ براسه إيجابا ، وشرد ببصره قليلا ، وهو يقول :

ـ يبدو اننا نفتقر إلى الخبرة الكافية ، فى لعبة الشخصية المزدوجة هذه .

هزت راسها فى عنف ، وقالت :

ـ لا .. لست اعتقد هذا .. فلقد عدت انت من هناك ، واستبدلت ثيابك فى سرعة ، وحافظت على هدوء اعصابك ، بحيث يستحيل ان يثبت مخلوق واحد انك و (العقرب) شخص واحد ، او ...

قاطعها رنين مباغت لجرس الباب ، جعلها تعقد حاجبيها ، وتقول فى توتر :

– ترى من يأتى ، فى مثل هذه الساعة ؟

نهض من خلف مكتبه فى هدوء ، والقى إليها مسدسه ، وهو يقول فى حزم :

– الوسيلة الوحيدة لمعرفة الجواب ، هى فتح الباب .

اتجه نحو الباب ، وهى تتابعه ببصرها فى حذر وتحفز ، ثم فتح الباب فى حركة سريعة ، وقال فى هدوء :

– مرحبا ايها العقيد .. ترى ما سر هذه الزيارة العجيبة ؟

شعرت (غادة) بالدهشة ، عندما وقع بصرها على العقيد (مجدى) ، الذى ازاح (نديم) جانبا ، ودلف إلى الداخل ، وهو يقول فى لهجة تحمل نبرة شماتة واضحة :

– إنها زيارة عمل .

دست (غادة) مسدسها فى جيبها ، وهى تغادر حجرة مكتب (نديم) ، وتعقد ساعديها أمام صدرها ، وتقول ساخرة :

– زيارة عمل فى الثالثة والنصف صباحا !

أجابها فى خشونة :

– وهل هناك مواعيد لعمل الشرطى النشط ؟

قالت متهكمة :

– أين هو ذلك الشرطى النشط ؟.. لست ارى هنا سواك .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

– اراهن ان سخريتك هذه ستتحول إلى بكاء وضراعة ؛ عندما تعلمين لماذا انا هنا .

قالت ساخرة :

– حقا ؟!

اما (نديم) ، فقد ساله فى هدوء :

– حسنا يا (مجدى) .. لماذا انت هنا ؟

التفت إليه (مجدى) ، وقال فى لهجة تقطر شماتة :

– اتحب ان تعرف حقا ؟. لا باس ايها المحامى النابه .. انا هنا لإلقاء القبض على (العقرب) .

ساله (نديم) فى برود :

– واين هو هذا العقرب ؟

اشار إليه (مجدى) ، وقال :

– ها هو ذا ؟

لم يبد القلق على وجه (نديم) ، وهو يقول :

– اتعلم يا عزيزى (مجدى) .. انك تغرينى برفع قضية تشهير ضدك ؟ و ...

قاطعه (مجدى) فى حزم :

ـ رويدك يا زعيم الأذكياء .. الأمر يختلف هذه المرة ، فلدى دليل لا يقبل الشك .

غمغمت (غادة) فى دهشة :

ـ دليل ؟!

أجابها (مجدى) فى ظفر وشماتة :

ـ نعم .. وشهادة شهود أيضا .. إننى هنـا بناء على بلاغ من السيدة (چيلان) .. (چيلان شوكت) ..

واتضحت معالم اللعبة ..

* * *

٢ ـ وراء القضبان ..

تنهد اللواء (حلمى) فى حرارة ، وقال لـ (نديم) مشفقا :

ـ لست أدرى ماذا اقول هذه المرة يا ولدى .. يبدو ان (چيلان) قد أجادت اللعبة هذه المرة ، فلديها اربعة شهود ، اقسموا إن رجلا مقنعا قد هاجمهم مع (چيلان) ، فى مكتب محاميها الخاص (أكرم منصور) ، وإنهم قد نجحوا فى نزع قناعه قبل فراره ، وإن وجهه هو وجهك انت بالذات .

قالت (غادة) فى حدة :

ـ ليس هذا دليلا كافيا ، فربما كان ذلك المقنع يشبه (نديم) فحسب .

ابتسم اللواء (حلمى) مشفقا ، وقال :

ـ لا تنسى أن محاميها (أكرم) هذا داهية .. لقد احتاط لهذا ، فأضاف إلى بلاغها ان حديثا قصيرا دار بينه وبين (نديم) ، أكد له شخصية هذا الأخير ، قبل نزع قناعه .

هتفت محنقة :

ـ سنلعب لعبتها إذن .. إننى اتهمها باختطافى ، والشروع فى قتلى ، و ...

قاطعها فى هدوء :

ـ ألديك دليل على هذا ؟

بدا السخط على ملامحها ، وهى تقول :

ـ لا .. للأسف .

ربت (نديم) على كفها مهدئا ، وقال :

ـ ليست هذه الوسيلة المناسبة يا (غادة) .. اظن ان افضل ما نفعله مع (چيلان) هو نبش ماضيها ، و ...

قاطعته فى ضيق :

ـ لا تعتمد على هذا .

تطلع إليها فى شىء من الدهشة والحيرة ، قبل ان يسالها :

ـ لماذا ؟

اشاحت بوجهها عنه ، وكانها تخشى مواجهته ، وهى تجيب :

ـ إننى واثقة من ان عينى (فوقية) ، التى قتلت امى ، كانتا سوداوين ، ولكن عينى (چيلان) زرقاوين .

سالها فى خفوت :

ـ الا يحتمل انها ترتدى عدسات لاصقة ؟

هزت رأسها نفيا فى ضيق ، وقالت :

ـ لا .. لقد تطلعت جيدا إلى عينيها . إنها لا ترتدى اية عدسات .

كانت صدمة حقيقية لـ (نديم) ، جعلته يغمغم فى توتر :

ـ اتعنين اننا كنا طوال الوقت نطارد ...

بتر عبارته على نحو حاد ، وتظاهر اللواء (حلمى) انه لم يستمع إلى الجزء الاخير من الحديث ، وهو يقول :

ـ لو ان لديك دليلا ينفى هجومك على مكتب (اكرم) ، فقد ..

قاطعه صوت خشن يقول :

ـ إنه لا يملك دليلا واحدا .

التفت الجميع فى حدة إلى (مجدى) ، الذى استطرد فى شماتة :

ـ لقد وقع حقا هذه المرة .

بدا الضيق على وجه اللواء (حلمى) ، فى حين قال (نديم) لـ (مجدى) فى هدوء :

ـ يبدو انك نسيت اهم مبدإ قانونى يا زميلى السابق ، فالبينة على من ادعى ، وعلى (چيلان) ان تثبت كونى (العقرب) .

قال (مجدى) فى خشونة :

ـ شهادة الشهود تكفى .

أجابه (نديم) بكل برود :

ـ ليس إذا ما دافعت انا عن نفسى .

قال (مجدى) ساخرا :

ـ وهل تجرؤ ؟

أجابه (نديم) :

ـ بالتاكيد ، فانت لم تسأل (چيلان) مثلا عن سبب مهاجمتى لها ، فى مكتب (اكرم) .

قال (مجدى) فى سرعة :

ـ لسرقتها .

ـ سرقت ماذا ؟

ـ حلى واموال .

ـ وكم مرة فعل (العقرب) هذا ؟

ران الصمت على المكان لحظة ، ثم اجاب (مجدى) فى حدة :

ـ ولا مرة واحدة .

ابتسمت (غادة) فى ظفر ، وقالت :

ـ الا يعد هذا دليلا نفى قويا ؟

اجابها (مجدى) فى حدة :

ـ لا .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ ولكنه يكفى للإفراج عنى بكفالة على الأقل .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـ لسوء حظ (چيلان) ..

* * *

« أفرجوا عنه بكفالة ؟!.. »

أطلقت (چيلان) هذه العبارة كصرخة غاضبة ساخطة ، قبل أن تستطرد فى ثورة :

ـ وكيف سمحت لهم بفعل هذا ؟

عقد (أكرم) حاجبيه ، وقال :

ـ وهل لى الحق فى ان اسمح او امنع ؟.. إنه وكيل النيابة الذى فعل هذا .

أشعلت سيجارتها فى توتر ، وقالت :

ـ ولكن هذا سيعنى ان يواصل (العقرب) دس انفه فى شئوننا .

قال (أكرم) فى هدوء :

ـ لقد كشفنا امره ، وسيحد هذا من حركته كثيرا .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ هل تظن هذا حقا ؟

ابتسم (أكرم) ، ولوح بكفه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا عزيزتى .. حتى لو دس (العقرب) انفه فى شئوننا ، فلن يجد شيئا .. إن عملنا نظيف تماما .

قالت فى حدة :

ـ اتسخر منى ، أم انه نوع من المزاح السخيف ؟

قهقه ضاحكا ، وهو يقول :

ـ لا هذا ولا ذاك ، ولكنك فى الواقع تبدين اكثر جمالا ، فى لحظات الغضب .

ومال نحوها ، مستطردا فى لهجة ذات مغزى :

ـ ثم إنه لا يسعى فى الواقع خلف (چيلان) ، بل خلف (فوقية) .

حدجته (چيلان) بنظرة ناقمة طويلة ، ثم اشاحت بوجهها ، قائلة :

ـ لقد ماتت (فوقية) منذ عشر سنوات ، فى ذلك الحادث .

غمغم :

ـ أعلم هذا .

ثم استطرد فى حزم :

ـ ولكنه هو يجهل الحقيقة .

التفتت إليه مرة اخرى ، وتطلعت إليه طويلا ، قبل ان تسأله :

ـ ماذا تقصد ؟

ابتسم وهو يتراجع فى مقعده ، وقال ملوحا بكفه كالمعتاد :
ـ اقصد انه ما دام هذا ما يقلقه ، وما دام لا يسعى إلا لمحاولة إثبات ان (چيلان) هى نفسها (فوقية) ، فلنرخ له العنان فى هذا الشأن ، فهو لن يصل فيه إلى اية نتائج ، مهما فعل .
استمعت إليه فى اهتمام ، ثم سألته :
ـ الا ينطوى هذا على بعض الخطورة ؟
هز كتفيه ، وقال :
ـ مطلقا .. لقد احرقت اصول كل الوثائق بنفسى .. اطمئنى .
تنهدت وقالت :
ـ اتمنى ان اثق فى رايك هذه المرة .
اضاف مبتسما :
ـ كما تفعلين دائما .. اخبرينى : هل سبق ان خذلتك قبلا ؟
ابتسمت قائلة :
ـ مطلقا .
وصمتت لحظة ، ثم اضافت :
ـ فليكن .. سنلعب اللعبة باسلوبك هذه المرة ، فإما ان ننجح فى إبعاد هذا (العقرب) عن لعبتنا الكبرى ، او ...
فرقعت سبابتها وإبهامها ، وهى تقول فى حزم :
ـ او نسحقه سحقا .

* * *

تثاءبت (غادة) فى إرهاق شديد ، ودعكت عينيها وهى تقول :
ـ كم هو جميل !
سألها (نديم) فى شرود ، وهو ينهمك فى مراجعة ملف ضخم :
ـ ما هو هذا الجميل ؟
ابتسمت فى تهالك ، قائلة :
ـ النوم .
رفع عينيه عن الملف ، وسألها :
ـ ولم لا تخلدين بعض الوقت للنوم ؟
قالت مداعبة :
ـ وهل ينعم بالنوم من يعمل معك ؟
تثاءبت مرة اخرى ، ثم هزت راسها ، وكانما تنفض عنه رغبتها الشديدة فى النعاس ، وقالت فى اهتمام :
ـ قل لى : هل توصلت إلى شىء ، من جبل الاوراق هذا ؟
اجابها فى اهتمام مشابه :
ـ تقريبا .
اعتدلت فى مجلسها ، ورفعت سبابتها امام وجهها ، قائلة :
ـ لحظة إذن .
وهتفت :
ـ احضر لنا قدحين من القهوة المركزة يا عم (احمد) .
ابتسم العامل العجوز ، وهو يقول :
ـ حالا يا سيدتى .

التفتت هى إلى (نديم) ، وقالت :

ـ هيا .. هات ما لديك .

اشار إلى بعض الاوراق امامه ، وهو يقول :

ـ كل الوثائق هنا تؤكد ان (چيلان) ليست (فوقية) ، بأى حال من الاحوال ، فقـد كانت هنـاك انشطة واضحة لكلتيهما ، فى آن واحد ، فى (القاهرة) و (اسطنبول) ، ثم إن (چيلان) لم تغادر (تركيا) ، منذ زواجها ، وحتى ما بعد مصرع (فوقية) .

غمغمت :

ـ عجبـا !

تنهد وقال :

ـ العجيب فى هذا الموضوع هو انفعال (چيلان) العنيف ، عندما تحدثت معها عن (فوقية) لاول مرة .. إنه يؤكد انها تعرف من هى (فوقية) .. تعرفها جيدا .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكل منهما يعمل عقله بحثا عن جواب ، ثم لوحت (غادة) بكفها ، وقالت :

ـ حسنا ، فلنؤجل بحث هذه النقطة لمـا بعد .

قال فى هدوء :

ـ فليكن .. لقد راجعت ملف (چيلان) هنا ، وذلك الملف الذى نسخه لنـا اللـواء (حلمى) ، عن إقامتهـا فى (اسطنبول) ، ومن واقعهما يتضح أن (چيلان) عادت من (تركيا) ، وهى تملك مائة الف دولار فحسب ، اى ما يساوى

مائة وثمانين الفا من الجنيهات ، فى ذلك الحين ، وبعد عام واحد ، انشأت اربع متاجر للأزياء وادوات الزينة ، فى مواقع رائعة بقلب العاصمة ، وابتاعت ڤيلا فاخرة فى قلب (القاهرة) ، واسست فى الوقت ذاته مصنعا لأدوات الزينة فى (اسطنبول) ، وكانت هذه المنشآت تتكلف اربعة ملايين جنيه على الأقل ، فى ذلك الوقت ، فمن اين اتت بكل هذا المـال ، فى عام واحد ؟

قالت (غادة) فى اهتمام :

ـ من اين اتت به حقا ؟

مط شفتيه ، وتابع :

ـ الملاحظ هنا ان (چيلان) لا تستورد ادوات الزينة إلا من مصنعها فى (اسطنبول) فقط ، وهى تستورد كميات كبيرة ، تسدد عنها الرسوم الجمركية على نحو منتظم ، كما تسدد ضرائب مبيعاتها بكل امانة ، وعلى الرغم من مصروفاتها الباهظة ، وتبرعاتها الضخمة للجمعيات الخيرية وما يشبهها ، فقد ابتاعت منذ عدة أعوام متجرا بالغ الضخامة ، فى واحد من ارقى احياء العاصمة ، لبيع مستلزمات التجميل والزينة ، وڤيلا على شاطىء (المعمـورة) ، واخرى فى (باريس) ، وطائرة خاصة فى (روما) .

قالت (غادة) مبهورة :

ـ هل تبلغ ارباح ادوات التجميل كل هذا القدر ؟

أجابها فى هدوء :

ـ ربمـا .

ثم شرد ببصره ، مستطردا :

ـ وربما كان كل هذا مجرد ستار لتجارة اكثر ربحا بكثير .

سالته فى اهتمام :

ـ تجارة ماذا ؟

اجابها فى حزم :

ـ المخدرات .

وبدات اللعبة تتضح اكثر ..

* * *

٣ ـ زيارة ليلية ..

كانت ليلة باردة بحق ، خلت فيها الشوارع من المـارة ، قبل منتصف الليل بساعتين كاملتين ، وتوارى فيها القمر خلف عدد من السحب السوداء الثقيلة ، التى تنذر بسقوط امطار ، عندما غادر (نديم فوزى) مكتبه ، وتدثر بمعطفه ، واتجه نحو سيارته ، فقال الرائد (حسن) للعقيد (مجدى) ، وهما يجلسان داخل سيارة ، على بعد امتار قليلة من سيارة (نديم) :

ـ ها هو ذا يا سيدى .. إنه سيستقل سيارته .

قال (مجدى) فى انفعال :

ـ اراهنك انه سيتجه بها إلى شركة (چيلان) ، او ڤيلتها ، فلابد له من ان يواصل لعبته ، فى شخصية (العقرب) .

راقبا (نديم) معا ، وهو يرفع ياقتى معطفه ، ويضع على راسـه قبعة سـميكة ، لتقيه البرد ، ثم يخرج سلسـلة مفاتيحه ، و ....

وسقط شىء ما من سلسـلة المفاتيح ، ارتطم بالارض ، وصدر عنه رنين معدنى ، قبل ان يتدحرج عائدا إلى مدخل البناية ، فاسرع (نديم) خلفه ، وغاب داخل البناية لحظة ، ثم عاد إلى سيارته ، واستقلها ، وانطلق ..

وهتف (مجدى) فى (حسن) :

ـ انطلق خلفه . . لا تدعه يغيب عن عينيك ابدا .

انطلق (حسن) بالسيارة خلف سيارة (نديم) ، التى سارت فى بطء ، وهى تعبر الطرقات فى تراخ ، حتى هتف (مجدى) فى عصبية :

ـ ماذا يفعل هذا الأحمق ؟.. هل يتنزه بسيارته ، فى مثل هذا الجو .

تردد (حسن) لحظة ، ثم قال :

ـ الواقع يا سيدى إنه يبدو كما لو انه يعلم اننا نطارده .

عقد (مجدى) حاجبيه فى توتر ، وغمغم :

ـ يعلم ؟!

ثم لوح بكفه فى عصبية ، واضاف :

ـ لا . . مستحيل .

اجابه (حسن) فى تردد :

ـ ولكن قيادته السيارة بهذا البطء لا تعنى سوى هذا .

تمتم (مجدى) :

ـ هل تعنى انه ربما ؟

قفز الخاطر إلى راسه بغتة ، فاضاف فى ذعر :

ـ يا إلهى !!.. لو ان هذا حقيقة . .

ثم لكز (حسن) بكفه ، هاتفا :

ـ اسرع يا رجل . . اعترض طريقه واوقفه .

قال (حسن) فى دهشة :

ـ هل تعنى اننا لن نتبعه ولن . . . ؟

قاطعه فى حدة :

ـ لا . . سنغير المهمة هذه المرة . .

ضغط (حسن) دواسة الوقود ، وزاد من سرعة سيارته ، وعبر إلى جوار سيارة (نديم) ، ثم انحرف ؛ ليعترض طريقها فى حدة . .

وتوقفت سيارة (نديم) فى عنف ، وقفز (مجدى) من سيارته ، هاتفا فى عصبية :

ـ هيا . . غادر السيارة .

اتسعت عيناه فى ذهول ، لم يلبث ان استحال إلى غضب جارف ، وهو يهتف :

ـ انت ؟!

ابتسمت (غادة) ، التى غادرت السيارة ، مرتدية معطف (نديم) وقبعته ، وقالت فى سخرية :

ـ من كنت تتوقع ؟

اندفع نحو السيارة ، وازاحها عن طريقه ، وانحنى يفحص داخل السيارة فى غضب ، قبل ان يعتدل صائحا :

ـ ولكن كيف ؟.. لقد شاهدناه بأنفسنا يرتدى القبعة ، وكانت ملامحه واضحة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يسترجع مشهد تلك القطعة المعدنية ، التى سقطت من (نديم) ، فعاد خلفها إلى داخل البناية ، وهتف محنقا :

ـ إذن فقد تم الاستبدال فى تلك اللحظة .

سألته (غادة) ، وهى تبتسم ساخرة :

ـ اية لحظة !

رمقها بنظرة غاضبة صارمة ، وصاح :

ـ اسمعى ايتها اللعينة .. لن يمكنك انت وزميلك خداع القانون إلى الأبد .

هزت كتفيها ، وقالت :

ـ ومن قال إننا نرغب فى هذا ؟.. إن اعمالنا كلها قانونية .

صاح فى غضب :

ـ وماذا عن خدعة السيارة هذه ؟

قالت ساخرة :

ـ اية خدعة ؟.. لا يوجد قانون يمنعنى من قيادة سيارة (نديم) ، فهو يدفع تأمين سائق خاص ، وانا امتلك رخصة قيادة ، و ...

قاطعها فى حدة :

ـ كفى .

وعاد إلى السيارة ، وقفز داخلها صائحا :

ـ هيا بنا يا (حسن) .

راقبتهما (غادة) بابتسامة ساخرة ، وهما ينطلقان مبتعدين ، ثم غمغمت :

ـ لن يمكنكما إيقاف (العقرب) ، إذا ما اراد ان ينطلق .. لن يمكنكما مطلقا ..

* * *

حجب ظلام تلك الليلة ذلك الشبح الأسود ، الذى تسلل فى خفة ، من سطح بناية عالية ، إلى سطح بناية اقل ارتفاعا ، هبط على سطحها فى هدوء ، ثم اتجه إلى سلمها فى صمت وسكون ، وعالج باب السطح فى مهارة ، ودلف منه إلى السلم ..

وفى خفة فهد ، راح يهبط فى درجات السلم ، حتى الطابق الثانى ، حيث بداية مخازن (چيلان) ، التى تحتل الطابقين : الأول والثانى ، وقبو البناية ..

وفى براعة ، تمكن (العقرب) من فتح باب المخزن ، ثم دخله واغلق الباب خلفه فى هدوء ، واشعل مصباحا ضوئيا صغيرا ، اداره فى المكان ، وتمتم فى خفوت :

– كل شيء يبدو اشبه بمخزن ادوات تجميل عادى .

اتجه نحو احد صناديق المخزن ، وراح يفتحه فى حنكة ، حتى ازال غطـاءه ، والتقط من داخله علبـة تحمل شعار ادوات (چيلان) للتجميل ، وقال :

– مجرد علبة ادوات زينة بريئة ، لا يمكنها ان تثير شكوك احد ، او ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

– يا إلهى !.. ربما كان هذا هو المقصود .

فتح العلبة فى سرعة ، ودس إصبعه فى المـادة الچيلاتينية ، ذات الرائحـة العطرة ، وعبث به فى قاع العلبة ، ثم انتزعه مغمغما :

– لا يوجد شيء هنا .

عاد يلقى نظرة على محتويات المخزن فى حيرة ، ثم قال :

– أى لغز تتقمصه (چيلان) هذه ؟

بدت له محتويات المخزن قليلة ، بما لا يتناسب مع شركة ضخمة لتوزيع ادوات الزينة والتجميل ، فتنهد قائلا :

– انا واثق من انك تخفين شيئا يا (چيلان) ، ولكن ما هو ؟

التصقت فوهة مسدس فجاة بمؤخرة راسه ، مع صوت خشن يقول :

– هل تحب ان تسالها بنفسك ؟

وتناهى إلى مسـامعه صـوت إبرة المسـدس تتراجع ، استعدادا للانطلاق ..

والقتل ..

* * *

من المؤكد ان ذلك الرجل ، الذى يصوب مسدسه إلى راس (نديم) ، لم يكن يتصور ابدا انه يواجـه واحدا من اقوى واعتى محاربى الجريمة على الإطلاق ..

ولكنه ادرك ذلك ولا شك ..

لقد الصق فوهة مسدسه بمؤخرة راس (نديم) ، والقى سؤاله الساخر ، ثم انقلبت الدنيا كلها على راسه كالإعصار..

لقد انحنى (نديم) فى سرعة مدهشـة ، ورفع سـاعده يضرب به ساعد الرجل ، ويزيح فوهة المسدس عاليا ، ثم دار على عقبيه ، ولكم معدة الرجل بيسراه فى قوة ، وهوى على فكه بيمناه فى سرعة البرق ..

وسقط مسدس الرجل ، وهوى هو نفسه خلفـه فاقد الوعى ..

وفى هدوء ، التقط (نديم) مسدس الرجل ، وفحصـه ، ثم القاه إلى جوار صاحبه ، مغمغما :

– كنت اتوقع هذا .

وقف فى وسط المخزن ، وادار عينيه فيه فى اهتمام بالغ ، ثم زفر قائلا :

– من الواضح انك شـديدة الحرص والحـذر والذكاء يا (چيلان) ، ولكننى اومن تماما بانه ما من مجرم ، مهمـا

بلغت عبقريته ، لا يرتكب ولو خطأ تافها ضئيلا ، يكون طرف الخيط ، الذى يشنق به نفسه فى النهاية .

ثم غادر المخزن ، وقد اتضحت فى راسه خطة العمل .. وخطة القتال ..

* * *

فركت (چيلان) كفيها فى عصبية ، وهى تقول لـ (اكرم) متوترة :

ـ إنها ليست مشكلة (فوقية) و (چيلان) حتما .. لقد هاجم ذلك (العقرب) مخزنى امس ، وفحص إحدى علب مستحضرات التجميل .. إنه يعلم شيئا عن عملنا بالتاكيد .

شبك (اكرم) اصابع كفيه امام وجهه ، وهو يقول فى بطء :

ـ او انه يبحث عن شىء ما .

هتفت متوترة :

ـ لن يفعل ، ما لم تكن لديه شكوك خاصة .

واشعلت سيجارتها فى عصبية ، مستطردة :

ـ اسمع يا (اكرم) .. إننا فى طريقنا لإتمام اكبر صفقة فى عمرنا كله ، ولن يمكننى ان اخاطر بوجود مثل هذا الخصم ، الذى حطم اثنين من عمالقة عالمنا من قبل .

قال فى بطء :

ـ ولكن احدا لم يكشف امرنا ابدا ، وكل صفقاتنا تتم على خير ما يرام ، و ...

قاطعته فى حزم :

ـ لن اخاطر .

ثم اندفعت نحوه ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وهى تستطرد :

ـ اتعلم قيمة الصفقة القادمة يا (اكرم) ؟.. إنها تتجاوز المليارى دولار .. هل تدرك كم يساوى هذا المبلغ بالجنيهات المصرية ؟

اعتدل يسالها فى هدوء :

ـ ماذا تعتزمين ؟

اجابته فى حدة :

ـ قتله .

ثم اعتدلت بدورها ، مردفة فى صرامة :

ـ ساقتل كل من يعترض طريق صفقتى الاخيرة .

غمغم (اكرم) فى دهشة :

ـ الأخيرة ؟!

قالت فى عصبية :

ـ نعم .. الأخيرة يا (اكرم) .

هب من مقعده ، هاتفا :

ـ ولكن لا يمكنك التراجع الآن .

صرخت ثائرة :

ـ سافعل ما يحلو لى .

سـقطت سيجارتها من بين شـفتيها ، وهى تطلق تلك الصرخة الاخيرة ، فسحقتها بقدمها فى غضب ، واشـعلت سيجارة اخرى ، قبل ان تستطرد :

ـ لقد اقحمتنى فى هذه اللعبة منذ عشرة اعوام ، ولقد سئمت مواجهة الخطر فى كل لحظة ، وقررت التقاعد .

قال فى حدة :

ـ ومن سيسمح لك ؟

قالت غاضبة :

ـ اتصورت اننى سأطلب رايك .

قال فى صرامة :

ـ بل موافقتى .

صرخت :

ـ من تظن نفسك ؟

اشار إلى خزانته ، وهو يقول فى غلظة :

ـ اتسألين من اظن نفسى ؟.. إننى محاميك ، والرجل الذى يدير كل العمل عنك ، منذ عشر سنوات .. هل ترين هذه الخزانة ، ذات الأرقام السرية ؟.. إنها تحوى عددا من الوثائق ، التى تكفى لإلقائك فى غياهب السجون ، وقتمـا يحلو لى ، واينما اشاء .

هتفت فى غضب :

ـ ايها الحقير ..

استند إلى سطح مكتبه براحتيه ، ومال بوجهه نحوها ، وقال :

ـ لا معنى الآن لكلمة الحقير هـذه ، فكلانا يشترك فى الصفة نفسها ، ثم إنه ينبغى ان تعلمى ان التقاعد فى عملنا هذا مستحيل ، فلست وحدك المستفيدة بما نربح ، ولكن الجميع يربحون ايضـا ، ولن يسمح لك احـدهم بسحب ارباحك دفعة واحدة هكذا .

غمغمت فى مرارة :

ـ اللعنة !

تراجع مبتسما ، وهو يقول :

ـ ستشملنا اللعنة جميعا ، ولكنها عندما تبدا فى التهامنا ، فستنتقيك اولا .

تطلعت إليه فى بغض واضح ، ثم نفثت دخانها فى عنف ، وقالت :

ـ ما لم التهمك انا أولا .

قهقه ضاحكا ، وقال :

ـ لست اظنك تفعلين .

قالت فى حدة :

ـ ولم لا ؟

اجابها ساخرا :

ـ لأنك فى هذه الحالة ستخسرين كل شىء ، فكما يقولون فى الأفلام السينمائية : لقد وضعت نظاما يضمن وصول هذه الأوراق والوثائق إلى ايدى الشرطة ، إذا ما لقيت مصرعى على نحو غير طبيعى .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ ايها الوغد !!

ارتفع فى تلك اللحظة صوت سكرتيرة (اكرم) ، من جهاز الاتصال الداخلى ، وهى تقول :

ـ هناك رجل يطلب مقابلتك ، ومقابلة السيدة (چيلان) يا سيدى .

سالها فى اهتمام :

ـ وما اسمه ؟

ارتجفت (چيلان) ، عندما اجابت السكرتيرة :

ـ اسمه (نديم) .. (نديم فوزى) .

* * *

٤ ـ كشف الأوراق ..

ساد الصمت التام ، داخل حجرة مكتب (اكرم) ، وشحب وجه (چيلان) فى شدة ، واحتبس دخان سيجارتها فى حلقها ، ثم لم تلبث ان سعلت ، وهى تقول :

ـ ما الذى جاء به ؟

هز (اكرم) راسه ، وقال :

ـ لست ادرى .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وقال لسكرتيرته :

ـ دعيه يدخل .

هتفت به (چيلان) :

ـ هل ستسمح له بالدخول ؟

قال فى حزم :

ـ سيقتلنى الفضول ؛ لمعرفة ما الذى جاء من اجله ، لو انه انصرف دون ان التقى به .

اطفأت سيجارتها فى عصبية ، وراحت تتطلع إلى البـاب متوترة ، حتى عبره (نديم) ، فقالت فى حدة :

ـ ماذا تريد ؟

اتجه (نديم) فى هدوء إلى مقعد قريب ، وجلس واضعا إحدى ساقيه فوق الاخرى ، وقال :

ـ كم تبدو لى هذه المقابلة شديدة الجفاف ، بعـد ان قضيت ليلتى كلها اطالع كل ورقة امكننى الحصول عليهـا بشانك .

قالت فى عصبية :

ـ بشانى انا ؟!

اما (اكرم) ، فقد ساله فى هدوء :

ـ وفى اية شخصية فعلت هذا ؟.. فى شخصية (نديم) ، ام (العقرب) ؟

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

ـ اظن ان هذا يناسب (نديم) اكثر .

قالت (چيلان) فى حدة :

ـ ولماذا يطالع (نديم فوزى) ، المحامى التافه اوراقى ؟

اعتدل (نديم) فجاة ، وقال :

ـ كان هناك امر يثير حيرته فى شدة .

تبادل (اكرم) و (چيلان) نظرة متوترة ، ثم ساله (اكرم) :

ـ اما زلت تبحث عما يثبت ان (چيلان) هى نفسها (فوقية) ؟

لوح (نديم) بسبابته ، قائلا فى هدوء :

ـ مطلقا .

ثم رمق (چيلان) بنظرة باردة ، مستطردا :

ـ وإن كنت اعلم الصلة التى تربطهما .

اندفعت (چيلان) تقول فى عصبية :

ـ لن يمكنك إثبات هذا .

تألقت ابتسامة ظافرة فى عينى (نديم) ، لم تفصح عنها شفتاه ، مما جعل (اكرم) يهتف بـ (چيلان) :

ـ اصمتى .

ثم التفت إلى (نديم) ، وساله :

ـ اى شان اقلقك إذن .

استرخى (نديم) فى مقعده ، وهو يقول فى هدوء :

ـ امر خاص بمساحيق التجميل .

شحب وجه (چيلان) فى شدة ، على نحو اقنع (نديم) بانه قد اصاب الهدف بالفعل ، ثم اشعلت هى سيجارتها فى عصبية ، دون ان تنبس ببنت شفة ، فى حين تطلع (اكرم) إلى (نديم) طويلا ، وكانما يحاول سبر غوره ، ثم لم يلبث ان قال :

ـ وماذا بشان مساحيق التجميل ؟

اخرج (نديم) من جيبه ورقة ، راح يقرا ما بها ، قائلا :

ـ لقد راجعت كل الارقام الخاصة بعملكما فى هذا المجال ، فوجدت ما يدهش حقا ، فلقد استوردتما ، فى السنوات العشر الاخيرة ، كمية هائلة من ادوات ومساحيق التجميل ، من مصنع (چيلان) فى (تركيا) ، وعلى الرغم من كثرة المبيعات ، وسداد الضرائب المستحقة عليها ، إلا ان الفارق بين حجم المستورد والمبيع ضخم ، بما يكفى لأن يكون لديكما عشرة مخازن هائلة ، لما لم يتم بيعه بعد .

ثم ازاح الورقة جانبا ، وهو يستطرد :

ـ فما تفسير هذا ؟

تضاعفت عصبية (چيلان) ، فى حين ساله (اكرم) فى بطء وحذر :

ـ ما رايك انت ؟

نهض (نديم) ، وهو يعيد الورقة إلى جيبه ، قائلا :
ـ رأيى أن كمية ضخمة من المساحيق المستوردة لم يتم بيعها على نحو طبيعى ، ولا حتى عبر منافذ البيع المالوفة .
سأله (اكرم) ، بنفس البطء والحذر :
ـ لماذا ؟
قال (نديم) :
ـ بسبب ما تحويه .
ثم هب من مقعده بغتة ، على نحو افزع (چيلان) ، وأمسك حافة مكتب (اكرم) فى قوة ، مستطردا فى صرامة :
ـ المخدرات !
وعلى الرغم منه ، انتفض جسد (اكرم) انتفاضة خفيفة ، وهو يردد :
ـ مخدرات ؟!
مضت لحظة ، قبل أن يتمكن من السيطرة على اعصابه ، ويبتسم ابتسامة باهتة ، قائلا فى خفوت :
ـ اى هزل هذا يا سيد (نديم) ؟
اعتدل (نديم) ، وقال :
ـ اتراه كذلك ؟
ثم اتجه نحو الباب ، مستطردا :
ـ سنلتقى إذن فى قاعة المحكمة .
وبسرعة غادر الحجرة ، واغلق بابها خلفه فى قوة ، فحدقت (چيلان) فى الباب فى ذعر ، قبل أن تندفع نحو (اكرم) ، هاتفة :
ـ إنه يعلم كل شىء .

صاح بها فى خشونة :
ـ اصمتى .
ونهض من خلف مكتبه ، وراح يحك ذقنه بيده فى توتر ، قبل أن يقول :
ـ من المستحيل أن يكون لديه اية ادلة ، وإلا فما جاء إلى هنا ، بل يذهب مباشرة إلى الشرطة .
هتفت (چيلان) :
ـ قلت لك إنه يعلم كل شىء .
واصل وكأنه لا يشعر بوجودها :
ـ او ربما يحاول استفزازنا ، للحصول على معلومة ما .
امسكت (چيلان) كفه فى قوة ، وقالت :
ـ اسمع يا (اكرم) .. من المحتم ان نعمل على إلغاء صفقة الغد ، حتى لا نخسر كل شىء .
دفعها بعيدا فى خشونة ، وهو يقول :
ـ هل جننت ؟.. لقد وضعنا ثروتنا كلها فى هذه الصفقة ، ولا يوجد ما يمكن أن يتسبب فى فشلها ، فكل شىء سيسير كالمعتاد .. ستصل الشحنة إلى ميناء (الإسكندرية) ، ويتم فحص العينات ، ولقد اتخذت التدابير اللازمة لمرور ذلك دون مشاكل ، وبعدها سيتم الإفراج عن الشحنة ، ويتسلم تجار (مصر) حصصهم ، ونربح نحن ملیارى دولار .
قالت فى انهيار :
ـ وماذا لو تسبب ذلك الرجل فى كشف امرنا هذه المرة ؟

دار حول مكتبه ، وهو يقول فى توتر :

ـ لن نمنحه الفرصة لهذا .

القى نفسه على مقعد مواجه لمكتبه ، مستطردا :

ـ سنحاول منعه ، و . . .

اطلق شهقة مباغتة ، بترت حديثه ، وجعلت (چيلان) تهتف فى فزع :

ـ ماذا حدث ؟.

اشـــار إليها بالصمت ، وهو يقفز نحو المكتب ، وينحنى ليفحص اسفل حافته ، فكتمت توترها ، ومالت نحو النقطة التى يفحصها ، واتسعت عيناها فى ذعر ، عندما وقع بصرها على جهاز الناقل الصوتى الصغير ، المثبت اسفل الحافة . .

وفى توتر ، انتزع (اكرم) الجهاز ، واسرع نحو خزانته ، والقاه داخله ، ثم قال فى حدة :

ـ هل رايت هذا ؟ لقد وضعه ذلك (العقرب) حتما .

هتفت به فى ذعر :

ـ لقد استمع إلى حديثنا كله ، وعلم ما نحن بصدده .

قال فى شراسة :

ـ لم يعد هناك مجال للتراجع ، لا يمكننا ان نترك (العقرب) وزميلته على قيد الحياة .

واعتدل مستطردا فى حزم :

ـ لابد من التخلص منهما . . الليلة . .

* * *

« لقد كشفوا وجود الجهاز . . »

قالتها (غادة) فى قلق ، إلا ان (نديم) لم يبد اهتماما بهذا ، وهو يقول :

ـ فليكن . . لن يمكنهم التراجع الآن ، فالصفقة ـ كما سمعنا ـ ستتم غدا ، وإبلاغ شرطة مكافحة المخدرات يكفى لإفسادها .

سالته فى اهتمام :

ـ هل نتصل بهم ؟

اجابها فى هدوء :

ـ ليس الآن ، فلقد ادركت (چيلان) اننا قد علمنا بخطتها ، والأرجح انها قد تعمد إلى مغادرة البلاد ، قبل وصول الصفقة ، ومن الضرورى ان نمنعها من ذلك اولا .

سالته :

ـ وماذا نفعل ؟

سمعا من خلفهما صوت (چيلان) تقول :

ـ هل أخبرك انا ؟

التفتا إليها فى حركة حادة ، ورأياها تقف على باب المكتب ، وحولها اربعة رجال ، يصوبون إليهما مسدساتهم القوية ، وهى تستطرد :

ـ يمكنكما ان تستسلما لى .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ ترى أين نحن ؟ . . فى (شيكاغو) ؟

قالت (چيلان) فى ظفر :

ـ سل نفسك هذا السؤال ، عندما ترتدى زى (العقرب) .

سالتها (غادة) محنقة :

ـ كيف وصلت بهذه السرعة ؟

ابتسمت (چيلان) ، وهى تقول :

ـ يمكنك القول إننى اجيد التحرك فى سرعة ، ثم إن مكتبكما ومكتب (اكرم) يقعان فى شارع واحد . . اليس كذلك ؟

واتجهت نحو مقعد قريب ، وجلست فوقه تشعل سيجارتها ، وتنفث دخانها ، قائلة :

ـ لقد كشف الجميع أوراقهم ، فانا اعلم الآن انك (العقرب) ، وانت تعلم طبيعة عملى .

قال (نديم) :

ـ وطبيعة شخصيتك .

مطت شفتيها ، وقالت :

ـ لست اظن هذا .

وتنهدت فى عمق ، ثم ادارت عينيها إلى (غادة) ، قائلة :

ـ هل تعلمين من انا ؟

اجابتها (غادة) :

ـ كنت اتصور هذا ، ولكننى كنت مخطئة .

نفثت (چيلان) دخان سيجارتها فى عمق ، وقالت :

ـ إننى لست (فوقية) .

غمغمت (غادة) فى فضول :

ـ من انت إذن ؟

نهضت (چيلان) فى صمت ، واتجهت نحو نافذة المكتب ، ونفثت دخان السيجارة مرة اخرى ، قبل ان تقول :

ـ إننى شقيقتها .

بدا هذا الجواب مناسبا لكل ما سبقه من غموض ، بشأن شخصية (چيلان) ، التى تابعت فى شىء من الحزن :

ـ كانت صلتى بـ (فوقية) ضعيفة منذ البداية ، فلقد انفصل ابونا عن امنا ، ونحن بعد رضيعين ، وكانت هى من نصيب أبى ، وبقيت انا فى كنف امى .

تنهدت ، قبل أن تستطرد :

ـ لم نلتق ابدا ، حتى تزوجت انا ذلك التركى ، وسافرت معه إلى (اسطنبول) ، ثم توفى هو ، وعدت انا إلى (مصر) ، لأعلم بأمر مصرعها ، من محاميها (اكرم) .

امتلأت كلماتها بالبغض ، وهى تتابع :

ـ أخبرنى (اكرم) انها قد تركت لى كل ثروتها ، وتبلغ خمسة ملايين دولار ، واخبرنى حقيقة عملها ، ثم راح يوسوس لى بالعمل فى مجال تهريب المخدرات والاتجار به ، ويغرينى بأرباحها الضخمة ، حتى وقعت فى براثنه ، وبدا هذا العمل البغيض .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (غادة) فى سخرية :

ـ يا لها من قصة مؤثرة !

حدجتها (چيلان) بنظرة صارمة غاضبة ، ثم قالت :

ـ من حسن حظك انك لن تستمعى إليها طويلا .

ثم التفتت إلى رجالها ، قائلة :

ـ هيا .. تخلصوا منهما .

وارتفعت فوهات المسدسات نحو (نديم) و (غادة) ، فهتف (نديم) :

ـ هل ستنتقلين من خانة تجار المخدرات ، إلى خانة القتلة ؟

هزت (چيلان) كتفيها ، وقالت :

ـ للضرورة احكام .

ثم التقطت حقيبتها ، واتجهت نحو الخارج ، مستطردة :

ـ اقتلوهما بعد انصرافى يا رجال ، فانا اكره رؤية الدماء .

قالت (غادة) متهكمة :

ـ يا لرقة طباعك !

منحتها (چيلان) ابتسامة صفراء ، ثم غادرت المكان ، واغلقت الباب خلفها ..

وجذب الرجال إبرات مسدساتهم ، و ...

حانت لحظة الموت ..

* * *

٥ ــ خطة الأفعى ..

ابتسم الرائد (حسن) ، وهو يسال العقيـد (مجدى) ، الذى يجلس شاردا إلى جواره ، داخل سيارته ، المتوقفة على بعد امتار من مدخل البناية ، التى يحتل مكتب (نديم) إحدى شققها :

ــ لمـاذا تبدو قلقا هكذا يا سيدى ؟

التفت إليه (مجدى) فى شرود ، ثم قال :

ــ إننى اتساءل عما يحدث هنا !

سأله فى حيرة :

ــ وماذا يحدث ؟..

مضت لحظة من الصمت ، ثم قال (مجدى) :

ــ المفروض اننا نراقب (نديم) ، حتى لا يتحول خلسة إلى (العقرب) ، كما فعل ليلة امس .

قال (حسن) ، وقد ازدادت حيرته :

ــ ومن الواضح انه لم يفعل .

هز (مجدى) راسه ، وقال :

ــ اعلم ذلك ، ولكن الم يدهشك ان يذهب (نديم) إلى مكتب (اكرم) ، ثم يعود ، فتلحق به (چيلان) ، مع اربعة رجال اشداء ، يثير مظهرهم الشـك ، وبعـدها تنصرف وحدها ، عائدة إلى مكتب (اكرم) .. ما الذى يعنيه هذا فى رايك ؟

غمغم (حسن) :

ــ لست ادرى .

زفر (مجدى) فى توتر ، وقال :

ــ ولا انا ..

ثم اضاف فى حدة :

ــ دعنا ننتظر إذن ، حتى ندرك ما يعنيه هذا .

وكان من الواضح انه لا يشعر بالارتياح .. قط ..

* * *

رفع الرجال الأربعة فوهات مسدساتهم فى وجهى (نديم) و (غادة) ، فتنهدت (غادة) ، وقالت فى أسف :

ــ يبدو انها النهاية يا (نديم) .

خيل إليها ان ابتسامة كبيرة تملأ عينيه ، وهو يقول :

ــ لا .. ليس بعد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع من خلف الرجال الأربعة صوت صارم ، يقول :

ــ القوا اسلحتكم ايها السادة ، وإلا اطلقت النـار على رءوسكم .

تجمد الرجال الأربعة فى اماكنهم ، وقال (نديم) فى هدوء :

ــ لم تتوقعوا وجود خط دفاع ثان .. اليس كذلك ؟

أما (غادة) ، فقـد حدقت فى وجه صـاحب الصوت ، وهتفت فى دهشة :

ــ انت ؟

ولكن (نديم) التقط حقيبتها فى سرعة ، واختطف منهـا مسدسها ، وصوبه إلى الرجال الأربعة ، قائلا :

ـ هيا أيها الأطفال الأربعة .. القوا اسلحتكم .

القى الرجال الأربعة اسلحتهم فى حنق ، فاطلقت (غادة) ضحكة مجلجلة ، وهتفت :

ـ خدعة رائعة يا عم (احمد) .

التفت الرجال الأربعة إلى صاحب الصوت ، الذى اجبرهم على إلقاء اسلحتهم ، وتفجر الغيظ والغضب فى اعماقهم ، عندما وقعت ابصارهم على عم (احمد) العجوز ، الذى غمغم فى خفوت :

ـ ما كنت لاسمح لهم بقتلكما يا سيدتى .

راح الرجال الأربعة يسبون ساخطين ، و (غادة) تطلق ضحكة اخرى ، قائلة :

ـ رائع يا عم (احمـد) !! رائع !! لقد فعلتهـا بجراة مدهشة ، وانت لا تحمل سلاحا .

قال (نديم) فى حزم :

ـ لا داعى للحديث الطويل .. هيـا .. سنقيد هؤلاء الأربعة .

سأله عم (احمد) :

ـ هل نبلغ الشرطة ؟

هز راسه نفيا ، وقال :

ـ ليس بعد ، إن (چيـلان) تتوقع انهم قد نجحوا فى قتلنـا ، ومن الأفضل ان تبقى على ثقتها فى هـذا فترة ، سنحتفظ نحن خلالها بهؤلاء ، و ...

قاطعه صوت حاد :

ـ فى هذه الحالة سترتكب مخـالفة قانونية يا عزيزى (نديم) .

كان صاحب الصوت هو (مجـدى) ، الذى اندفع إلى الداخل ، مستطردا فى ظفر :

ـ كما تفعل الآن ، وانت تحمل سلاحا دون ترخيص .

التقطت (غادة) المسدس بسرعة من يد (نديم) ، وهى تقول :

ـ خطأ يا عزيزى (مجـدى) .. إننى انا التى تحمـل السلاح ، ولدى ترخيصا بحمله .

عقد (مجدى) حاجبيه لحظة ، ثم لوح بكفه ، قائلا :

ـ حسنا .. لن اتشبث بنقطة سأعجز حتما عن إثباتها .

والتفت إلى الرائد (حسن) مستطردا :

ـ صـوب انت مسدسـك إلى هؤلاء الرجال الأربعـة يا (حسن) ، وساتحدث انا مع (غادة) و (العقرب) .. اقصد (نديم) .

اتخذ مقعدا امام (نديم) ، وقال :

ـ حسنا .. إننى انتظر تفسيرا لهذا .

تبادل (نديم) و (غادة) نظرة طويلة ، ثم جلس (نديم) امام (مجدى) ، وقال فى هدوء شديد :

ـ لا يأس يا عزيزى (مجـدى) .. إننى رجل لا يحمل أحقادا لأحد ، وما دام هدفنا هو تحقيق العدالة ، فسأبدل

اسلوبى هذه المرة ، واكشف لك كل اوراق (چيلان شوكت) . . استمع إلى .

وزاح يروى له كل ما يتعلق بـ (چيلان) . .

دون ذكر (العقرب) . .

* * *

تطلع (اكرم) فى دهشة إلى (چيلان) ، وهى تدلف إلى مكتبه ، وعلى شفتيها ابتسامة غامضة عجيبة ، وسالها فى حيرة :

ـ لماذا عدت ؟

اشعلت سيجارتها فى هدوء ، وقالت :

ـ لقد تخلصت من (العقرب) وزميلته .

عاد يسالها فى ريبة :

ـ ولماذا عدت ؟

التقطت نفسا عميقا من سيجارتها ، ثم نفثته فى هدوء ، وقالت :

ـ هناك تغيرات جذرية فى الخطة .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ (چيلان) . . الأمر لا يحتمل اية حماقات .

قالت فى حزم :

ـ قلت لك إنها تغيرات جذرية .

زفر فى توتر ، وقال :

ـ حسنا يا (چيلان) . . هاتى ما لديك .

هزت راسها نفيا ، وقالت :

ـ ليس قبل ان تصرف كل العاملين بمكتبك ، فالأمر يحتاج إلى بقائنا وحدنا تماما .

تطلع إليها فى شك ، قبل ان يسالها :

ـ ماذا وراءك يا (چيلان) ؟

قالت فى صرامة :

ـ اصرفهم اولا .

مضت لحظة من الصمت ، وهو يتطلع إليها فى حذر ، قبل ان يضغط زر الاتصال الداخلى ، ويقول لسكرتيرته :

ـ مرى الجميع بالانصراف ، وانصرفى انت ايضا ، فسابقى وحدى مع السيدة (چيلان) .

عاد يجلس فى مقعده ، ويتطلع إلى (چيلان) فى حذر ، ولم ترق له ابتسامتها ابدا ، وهى تقول :

ـ هذا افضل .

ساد بينهما الصمت تماما ، حتى انصرف الجميع من المكتب ، ثم سالها (اكرم) فى عصبية مفرطة :

ـ والآن ماذا لديك يا (چيلان) ؟

تراجع فى مقعده فى حدة ، عندما اخرجت من حقيبتها مسدسا ، صوبته إليه ، دون ان تفقد ابتسامتها الغامضة ، فهتف :

ـ ما هذا يا (چيلان) ؟

اجابته باسمة :

ـ مسـدس يا عزيزى (اكرم) .. الا تعـرف ما هـو المسدس ؟.. إنه سلاح صغير يسهل حمله ، ويحتوى على خزانة بها عدة رصاصات ، تكفى واحدة منها لاختراق جمجمة رجل بالغ ، وقتله فى لحظة واحدة .

غمغم فى صوت متحشرج :

ـ (چيلان) .. إنك لا تدركين ما تفعلينه .

هزت كتفيها قائلة :

ـ على العكس يا عزيزى (اكـرم) .. إننى ادرك كل خطوة اقوم بها ، وربما لأول مرة فى حياتى .

ارتجف وهو يشير إلى خزانته :

ـ هل نسيت الأوراق والوثائق ، و ...؟

قاطعته فى هدوء :

ـ لا .. لم انس شيئا يا (اكرم) .. ساقتلك اولا ، ثم آخذ كل الأوراق والوثائق ، وانصرف .

قال فى حدة :

ـ لن يمكنك فتح الخزانة ، فذلك يحتـاج إلى معرفة ارقام فتحها السرية .

قالت مبتسمة :

ـ إننى أعرفها .

تراجع وعيناه تتسعان فى دهشة ، وهتف :

ـ مستحيل ! .

ثم اضاف فى عصبية :

ـ إنها خدعة ولا شك ، فلا احـد ، حتى سـكرتيرتى الخاصة يعلم ارقام خزانتى السرية .

ابتسمت قائلة :

ـ ولكنك فتحت الخزانة امامى منذ ساعات ، لتلقى داخلها ذلك الناقل الصوتى الصغير ، ولحظتهـا راقبتك فى دقة ، وحفظت ارقام فتح الخزانة .

شحب وجهه ، وهو يقول :

ـ انت كاذبة مخادعة .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ حقا ..؟

ثم اتجهت إلى الخزانة ، وضغطت ارقامهـا السرية فى سرعة ، ثم فتحتها فى رشاقة ، وهى تقول :

ـ هل يقنعك هذا ؟

ندت منه حركة حادة ، وكأنما سينقض عليها ، إلا انها لوحت بمسدسها فى وجهه فى حزم ، فعاد يستقر على مقعده ، ويقول فى توتر :

ـ حسنا يا (چيـلان) .. خـذى كل الأوراق .. لن اعترض .

قالت متهكمة :

ـ وهل تملك الاعتراض ؟

انتزعت مظروفا كبيرا من خزانته ، وفتحته لتلقى نظرة على محتوياته ، ثم ابتسمت قائلة فى ارتياح :

ـ شكرا لأسلوبك المنظم يا (أكرم) .. كل الأوراق هنا بالفعل .

طوت المظروف ، ودسته فى حقيبتها ، ثم التقطت رزم الأوراق المـالية من الخزانة ، والقتها ارضا ، وهى تقول :

ـ هل تسعدك رؤية كل هذه الأموال عند قدميك ، قبل أن تلقى حتفك يا عزيزى (أكرم) ؟

جفف (أكرم) عرقه الغزير ، وهـو يقول فى لهجة اقرب إلى الضراعة :

ـ (چيلان) .. لمـاذا يا (چيلان) ؟.. لقد كنت خير عون لك ، طيلة كل هذه الأعوام ، و ...

صرخت به :

ـ اخرس .

ابتلع باقى كلماته فى هلع ، فى حين اسـتطردت هى فى غضب :

ـ إنك انت دفعت بى إلى كل هـذا .. انت سبب كل ما حدث ويحدث .

هتف منهارا :

ـ لقد صنعت منك إمبراطورة .

صاحت فى مرارة :

ـ إمبراطورة إجرام .

ورفعت مسدسها فى وجهه ، مستطردة فى شراسة :

ـ ستدفع الثمن يا (أكرم) .. ستدفع الثمن حياتك .

بكى وهو يهتف :

ـ ولكن هذا سيقضى عليك ايضا ، فلقد اتخذت ما يلزم ؛ لتسليم نسخة من الأوراق والوثائق إلى ..

قاطعته فى حدة :

ـ انا ايضا اتخذت ما يلزم ، فلقد حجزت تذكرة طائرة إلى (أوربا) ، سأنطلق بها فور الإفراج عن الشحنة غدا ، وتسليمها إلى التجار ، وسيتم تحويل كل ثروتى إلى بنك فى (سويسرا) ، قبل ان يتم كشف جثتك ، مع ملاحظـة ان مكتبك يغلق ابوابه غدا ، فى إجازته الأسبوعية ، اى ان لدى يومين كاملين ، قبل ان يبدأ رجال الشرطة عملهم ، وقبـل انتهاء هذه الفترة ، سأكون فى (باريس) ، احمل اسما وهوية جديدين ، وانعم بثروة هائلة ، لن تنضب مدى حياتى .

ادرك انها قد أعدت لكل شيء عدته ، فقال منهارا :

– متى فعلت كل هذا ؟

اجابته فى زهو :

– إننى أعد له منذ اسبوع يا عزيزى ، ولكننى لم اكن اعلم انك تمتلك بعض الوثائق ضدى ، إلا منذ ساعات ، مما استلزم إجراء تعديل جوهرى فى خطتى .

غمغم :

– ولكن البكاء والانهيار هنا ، و ...

قالت فى حدة :

– مظهر من مظاهر الضعف الانثوى .. إننى انثى يا عزيزى (اكرم) .. اليس كذلك ؟

وفى هدوء رفعت فوهة مسدسها إلى راسه ، فبكى هاتفا :

– الرحمة !!

قالت فى برود :

– الوداع .

واطلقت النار ..

* * *

٦ – لعبة العقارب ..

، هز (مجدى) راسه فى عنف ، وكانما يحاول إقناع نفسه بما قصه عليه (نديم) ، قبل ان يهتف فى وجه هذا الاخير :

– إذن فانت تصر على ان (چيلان شوكت) مهربة مخدرات ، وانها تحضر المخدرات إلى (مصر) داخل علب مستحضرات التجميل ، التى تستوردها من (اسطنبول) .

اكمل (نديم) فى هدوء :

– وإنها تنتظر إتمام اضخم صفقاتها غدا .

هز (مجدى) راسه مرة اخرى ، وهتف :

– مريع !!

ثم استعاد لهجته الصارمة الجافة ، وهو يستطرد :

– هل يفترض ان اصدق هذا ؟

قال (نديم) :

– لو اردت .

شملهما الصمت لحظة ، وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، ثم التقط (مجدى) سماعة الهاتف فى حركة حادة ، وادار القرص فى عصبيّة ، وانتظر حتى سمع صوت محدثه على الطرف الآخر ، وقال فى توتر ملحوظ :

– إنه انا يا سيدى .. العقيد (مجدى) .. لدى معلومات ، من مصدر موثوق به ، تؤكد ان شحنة ادوات التجميل ، التى ستصل من (اسطنبول) غدا ، لحساب

(چيلان شوكت) ، تحوى مخدرات مهربة .. نعم يا سيدى .. المصدر موثوق به للغاية .

ورفع عينيه يلقى نظرة على (نديم) ، ثم اضاف فى عصبية :

ـ لا يا سيدى .. ليست هناك أدلة مادية .

انتهى الاتصال ، بعد تبادل عبارات روتينية سريعة ، ثم قال (مجدى) لـ (نديم) فى حزم :

ـ يمكنك اعتبار صفقة (چيلان) فى خبر كان .

قالت (غادة) على الفور :

ـ وماذا عن (چيلان) نفسها ؟

هز (مجدى) راسه فى حدة ، وقال :

ـ انت تعرفين القانون .. إنها بريئة ، حتى تثبت إدانتها ، وما دمنا لم نثبت وجود المخدرات فى شحنة ادوات التجميل ، و ...

قاطعه (نديم) :

ـ حتى لو حدث هـذا ، فقد تعجز عن إثبـات تورط (چيلان) فى الأمر ، إذ لن يدهشنى ان تكون الصفقة باسم شخص آخر ، بل قد تجد لدى (چيلان) حفنة من الشهود ، يؤكدون ان علاقتها بالشحنة لا تتعدى التمويل فقط و ...

قاطعه (مجدى) فى عصبية :

ـ ماذا تقصد باختصار ؟

اتجه (نديم) إلى مكتبه فى هدوء ، وجلس خلفه ، وهو يقول :

ـ اقصد ان القانون قد يعجز عن الإيقاع بـ (چيـلان شوكت) .

ادرك (مجدى) مقصده ، فقال فى حدة :

ـ فى حين لن يعجز (العقرب) .. اليس كذلك ؟

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

ـ لم اقل هذا .

فتح (مجـدى) فمـه ؛ لينطق بشىء ما ، إلا انه لم يلبث ان اطبق شفتيه ، وبدا فى صمته وكأن صراعا رهيبا يدور فى اعماقه ، ما بين واجبه ومشاعره ، قبل ان يشيح بوجهه قائلا فى صوت مختنق :

ـ إننى امثل القانون وحده .

ثم التفت إلى (حسـن) ، وصرخ وكأنما يفرغ فيضـان مشاعره :

ـ وانت .. خذ هؤلاء الأوغاد إلى قسم الشرطة ، واطلب التحفظ عليهم ، حتى ينتهى امر (چيلان) هذه .

وفى توتر التفت إلى (نديم) ، واضاف :

ـ هل سمعتنى يا سيد (نديم) ؟.. القانون فقط .

واندفع يغادر المكان كالعاصفة ..

* * *

شحب وجه (چيلان) ، وكادت قبضتها تعتصر سماعة الهاتف ، وهى تقول فى رعب :

ـ ماذا تقول ؟.. لديهم امر بفحص الشحنة !

خفق قلبها فى عنف ، وهى تتابع :

ـ ماذا ؟!.. بلاغ بوجود شـحنة مخـدرات داخـل المساحيق !

اخذت ترتجف فى عنف ، وخيل إليها انها ستفقد وعيهـا ، وهى تعيد سماعة الهاتف ، مغمغمة :

ـ مستحيل !!

القت جسدها على مقعد قريب ، وزاغ بصرها فى ارتياع ، وهى تردد :

ـ كيف كشفوا امر الصفقة ؟.. كيف ؟..

بدا عقلها مشتتا متوترا ، وعجز فكرها المرتبك عن التفكير ، فصرخت :

ـ ماذا افعل ؟

وكرد فعل انثوى تقليدى ، انفجرت باكية ..

بكت فى غزارة شديدة ، كما لم تبك من قبل ..

ثم توقفت دموعها بغتة ..

ذهبت الصدمة ، وحان وقت التفكير ..

وكعادتها اشعلت سيجارتهـا ، وراحت تنفث دخانها فى توتر ، وهى تقول :

ـ اللعنة عليك مرتين يا (اكرم) .. لقد ورطتنى فى هذا الأمر ، ولست اجدك الآن لاستشارتك فى قانونية الفرار منه .

زفرت فى توتر ، وتابعت :

ـ حسنا .. فنلدرس الامر جيدا .. حسبما تعلمت من (اكرم) ، فلن يمكنهم إلقاء القبض على ، أو توجيه اى اتهام لى ، إلا بعد وصول الشحنة ، وضبط المخدرات .

نهضت من مقعدها ، وراحت تفرك كفيهـا فى عصبية ، مستطردة :

ـ هذا يعنى إذن انه امامى يوم كامل لدراسـة الامر ، والتصرف بأقصى سرعة .

التقطت سماعة الهاتف ، وادارت قرصه فى توتر ، وقالت :

ـ انا (چيلان شوكت) .. اريد حجز تذكرة طائرة إلى (باريس) الليلة .

بدت شديدة العصبية ، وهى تهتف :

ـ ماذا تعنين بانه لا توجد طائرات لـ (باريس) الليلة ؟.. اريد السفر لضرورة قصوى .. ماذا لديك ؟.. (جنيف) .. فليكن .. اريد تذكرة لـ (جنيف) .

انهت الاتصال فى حنق ، واسرعت إلى حجرتها ، وراحت تجمع كل مجوهراتها وحليها الثمينة فى حقيبة واحدة ، وهى تقول محنقة :

ـ انا (چيـلان شوكت) .. الإمبراطورة .. تضـطرنى الظروف للفرار على هذا النحو ، واخسر كل ثروتى ، فيما عدا تلك المجوهرات ، التى لا يتجاوز ثمنها نصف المليون .

اغلقت حقيبتها ، والقت نظرة سريعة على ساعة معصمها ، وقالت :

ـ ما زالت امامى سبع سـاعات ، قبـل موعد إقلاع الطائرة .. ليس من المفضل ان ابقى هنا .. ساذهب إلى .. إلى ..

راحت تعمل فكرها فى سرعة ، ثم هتفت :

ـ نعم .. سأذهب إلى هناك .

واندفعت تغادر منزلها ، وهى تحمل حقيبة المجوهرات ..

آخر ما تبقى لها من إمبراطوريتها ..

إمبراطورية الشر ..

* * *

ضغط (مجدى) جرس مكتب (أكرم) للمرة العاشرة ، قبل ان يقول فى عصبية :

ـ اين ذهب ذلك الوغد ؟.. بواب البناية يؤكد انه لم يغادر المكتب ، فى حين انصرف جميع العاملين فيه ، ثم انصرفت بعدهم (چيلان) ..

قال الرائد (حسن) :

ـ ربما استسلم للنوم هنا ، او ...

قاطعته ضغطة قوية على ذراعه ، من اصابع (مجدى) ، الذى هتف :

ـ او الموت .

كان هذا الخاطر يكفى ، لأن يستل (مجدى) مسدسه ، ويصوبه إلى رتاج مكتب (أكرم) ، وهو يبعد (حسن) ، قائلا فى حزم :

ـ وهذا هو الأرجح .

اطلق من مسدسه رصاصة ، حطمت رتاج الباب ، ثم دفع الباب بكتفـه ، واندفع إلى الداخل ، حتى اقتحم حجـرة (اكرم) ، فاطلق شهقة قوية ، وهتف :

ـ يا إلهى !

اسرع يفحص جثة (اكرم) ، قبل ان يقول فى انفعال :

ـ لقد لقى مصرعه .. احدهم قتله برصاصة مباشرة فى راسه .

هتف (حسن) :

ـ احدهم ؟!

هب (مجدى) واقفا ، وهو يهتف :

ـ بل هى قتلته .. (چيلان) فعلتها .

وقفز نحو الهاتف ، مستطردا :

ـ سأطلب اعتقالها على الفور .

وضـع (حسن) يده على كف (مجـدى) ، وهو يقول فى قلق :

ـ لن يمكنك اعتقالها يا سيدى ، قبل إثبات إدانتها ، فما من وكيل نيابة سيوافق على إلقاء القبض عليها ، إلا بعد استجوابها على الاقل .

حدق (مجدى) فى وجهه لحظات فى صمت ودهشة ، ثم لم يلبث ان عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ الإجراءات .. دائما هى الإجراءات ، التى تعوق كل شىء .

قال (حسن) فى خبث :

ـ ربما لهذا يحاربها رجل مثل (العقرب) .

التفت إليه (مجدى) فى حدة ، ورمقه بنظرة نارية ، قبل ان يقول فى صرامة :

ـ هل تؤيده ؟

ارتبك (حسن) وغمغم :

ـ فى الواقع .. لست .. ولكن ..

قاطعه (مجدى) كعاصفة عاتية :

ـ (العقرب) رجل يخالف القانون ويتجاهله ، ويبنى عمله كله على الدوران حول كل الأعراف والنظم ، ولا يمكننى ابدا أن اعتبر مثل هذا الرجل محقا .

ثم هب من مكانه ، مستطردا فى حدة :

ـ إننا سنريح هذه القضية يا (حسن) ، وسننتزعها من بين يدى (العقرب) .

وانفجرت الكلمة الأخيرة من حلقه كالقنبلة ، عندما اضاف :

ـ وبالقانون .

* * *

انهمك (هانى) ، السكرتير الخاص لـ (چيلان شوكت) فى ترتيب بعض أوراقه الخاصة ، فى صوان ملابسه بمنزله ، حتى انه قد انتفض فى قوة ، عندما سمع من خلفه صوت هادىء ، يقول :

ـ هل تعتزم الرحيل معها ؟

التفت (هانى) إلى مصدر الصوت بحركة حادة عنيفة ، ولم يكد بصره يقع على (العقرب) ، بزيه الأسود ، وقناعه المخيف ، حتى تراجع فى عنف ، فارتطم ظهـره بالصوان فى قوة ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!

أمسك (العقرب) كتف (هانى) فى قوة ، وهو يقـول فى برود :

ـ إنك لم تجب عن سؤالى .

تأوه (هانى) الما ، من قوة القبضة ، وهتف :

ـ ماذا تعنى بالرحيل معها ؟.. إننى باق هنا .

ضغط (العقرب) كتفه فى صرامة ، أجبرت (هانى) على الجلوس على طرف فراشه ، وسأله فى نفس البرود المخيف :

ـ أين يمكننى ان اجد (جيلان) الآن ؟

لوح (هانى) بذراعيه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ ومن ادرانى ؟.. ربما كانت فى ڤيلتها .

قال (نديم) :

ـ إنها ليست هناك .

قال (هانى) فى حدة :

ـ ابحث عنها فى إحدى افرع الشركة إذن .. او حتى فى ڤيلا (المعمورة) ، او ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، على نحو يوحى بانه يخفى خلفها شيئا ، فسأله (العقرب) فى حزم :

ـ او اين ؟

قال وهو يشيح بوجهه جانبا :

ـ أو اى مكان آخر .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال (العقرب) :

ـ هل تعلم ان رئيستك تاجرة مخدرات ؟

التفت إليـه (هـانى) فى ذهـول حقيقى ، وهـو يهتف مستنكرا :

ـ تاجرة ماذا ؟

أجاب (العقرب) فى حزم :

ـ تاجرة مخدرات يا (هانى) ، وهى تستورد المخدرات مع مساحيق التجميل ، منذ عشر سنوات .

شحب وجه (هانى) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !

ولكنه لم يلبث ان استدرك فى حدة :

ـ لا .. انت تكذب .. انت مخادع .

سأله (نديم) فى هدوء شديد :

ـ أبدو لك كذلك ؟

التفت (هانى) يتطلع إليه مليا ..

لم يكن يرى من وجه (نديم) سوى عينيه ..

فقط عينيه ..

ولكن شيئا ما فى اعماق (هانى) جعله يميل إلى التصديق ..

او هو شىء فى عينى (نديم) ..

المهم أن (هانى) قد أبعد عينيه ، وتمتم :

ــ لا .. لست تبدو كذلك .

بدا الارتياح فى صوت (نديم) ونبراته ، وهو يسأله :

ــ أين هى إذن ؟

ران الصمت لحظة ، ثم قال (هانى) :

ــ هناك منزل سرى ، استأجرته منذ عامين ، ولا أحد يعرفه سواها وأنا .

ثم التقط ورقة صغيرة وقلما ، واستطرد :

ــ ها هو ذا عنوانها ..

وكتب العنوان ..

عنوان (الإمبراطورة) ..

* * *

٧ ــ قمة السقوط ..

تطلعت (چيــلان) إلى ســاعتها فى توتر بالغ ، وقالت لنفسها ، وهى تغرك كفيها فى عصبية :

ــ أربع ساعات فحسب ، وينتهى هذا الكابوس .

انقضت على حقيبتها ، وكأنها أنثى نمر شرسة ، تنقض على فريستها ، وفتحتها فى حدة ، وراحت تراجع محتوياتهــا فى سرعة ، ثم أغلقتها قائلة :

ــ كل شىء هنا .. المجوهرات .. جواز السفر .. تذكرة الطائرة .. كل شىء .

صمتت وهلة ، وهى تعود إلى فرك كفيها ، ثم لم تلبث أن هتفت فى حنق :

ــ اللعنة !

ولوحت بذراعيها فى سخط ، مستطردة :

ــ لماذا اقف ذلك الموقف اللعين الآن ؟.. كان يمكننى أن اكتفى بالمائة الف دولار ، التى ورثتها عن زوجى الراحل .. لماذا ورطت نفسى فى هذا الأمر ؟.. لماذا ؟

قفز قلبها بين ضــلوعها ، وكاد يتوقف من شــدة المفاجأة والذعر ، عندما أتى صوت (العقرب) من خلفهــا ، يقول فى برود :

ــ ألا يبدو لك هذا السؤال متأخرا ، أكثر مما ينبغى ؟

استدارت بكيانها كله إليه ، وحدقت فى وجهه بذهول ، وهو يجلس هادئا على المقعد المواجه لها ، ولم تكد تتمالك شيئا من جأشها ، حتى صرخت :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

اجاب فى هدوء :

ـ لدى اساليبى .

قفزت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

ـ اتركنى يا (نديم) .. اتركنى ارحل .. صدقنى .. لم اكن اقصد كل ما فعلت .

قال مستنكرا :

ـ لم تكونى تقصدين ؟!.. ياله من قول !!.. وماذا عن الاف الشبان والاسر ، الذين دمرت مخدراتك مستقبلهم ، طوال السنوات العشر الماضية ؟

صرخت فى انهيار :

ـ (اكرم) اللعين هو الذى دفعنى إلى هذا .. هو الذى زين لى الشر ، وقادنى إلى الهاوية ، دون ان ادرك .

قال فى صرامة :

ـ اسقطى فيها إذن .

تطلعت إليه فى رعب ، ثم قالت :

ـ اسمع يا (نديم) .. اتركنى ارحل ، وسادفع ثمن هذا .

قال فى برود :

ـ حقا ؟

هتفت :

ـ سادفع لك مائة الف جنيه .. بل مائتين .. ربع مليون جنيه لو اردت .

تطلع إليها لحظات فى صمت ، ثم قال :

ـ اتظنين اننى رجل يمكن شراؤه بالمال ؟

صرخت فى عصبية :

ـ كل البشر يمكن شراؤهم بالمال .. كلهم .. اتظننى لا اعلم لماذا حطمت (نعمان والى) و (صالح عثمان) ؟.. لقد اردت ان تنفرد بالساحة وحدك .. هذه هى الحقيقة .

واشارت إلى حقيبتها ، هاتفة :

ـ هل ترى هذه الحقيبة ؟.. إنها تحوى كمية من المجوهرات ، تكفى لإدارة راس اعتى الرجال .. انظر .

اختطفت حقيبتها فى عنف ، وفتحتها ..

وفجأة وجد (العقرب) مسدسها مصوبا إلى صدره ، وهى تقول بضحكة عصبية :

ـ خسرت هذه المرة ايها المقنع .. اليس كذلك ؟

نهض فى بطء ، وهو يقول :

ـ اعترف اننى لم اكن اتوقع وجود مسدس فى حقيبتك .

اطلقت ضحكة متوترة ، وقالت :

ـ ينبغى ان تتوقع كل شىء ، مادمت تحب لعب دور (زورو) هذا .

قال فى هدوء مثير :

ـ سأتذكر هذه النصيحة .

هتفت به :

ـــ اطمئن .. لن يكون هناك وقت لتتذكر شيئا .

سألها فى بساطة ، وكأنها لا تصوب مسدسها إلى صدره :

ـــ اتتصورين انك ستنجحين فى الفرار ، بعد كل هذا ؟

اجابته فى تبجح :

ـــ نعم .. سأنجح ، على الرغم من انف الجميع .. إننى فى طريقى الآن لاستقل طائرة (جنيف) ، بعد ان اقتلك ، ولن يستطيع مخلوق واحد إيقافى ، وسارحل إلى (اوربا) ، حيث لن يعثر على احد .. إنها مسألة وقت فحسب .

قال فى نفس البساطة :

ـــ هناك شرطة دولية .

ضحكت فى توتر مرة اخرى ، وقالت :

ـــ هذا لو اننى بقيت (چيلان شوكت) ، كما انا الآن .. إننى ساختلف هناك تماما .. ساحمل وجها جديدا ، واسما جديدا ، و ...

قاطعها بغتة :

ـــ لقد كشفوا مقتل (اكرم) .

شحب وجهها لحظات ، وجف لعابها ، حتى انها عجزت عن النطق لنصف دقيقة كاملة ، قبل ان تقول فى حدة :

ـــ فليكن ، لا مجال لتوجيه الاتهام إلى الآن ، ولا احد يعلم اننى سأسافر بعد ساعات قليلة .

قال فى برود :

ـــ أنا اعلم .

رفعت مسدسها إلى رأسه ، وهى تقول :

ـــ وانت ستصبح مجرد ماض ، بعد لحظة واحدة .

رآها تجذب إبرة مسدسها ، قائلة :

ـــ ودائما يا سيد (نديم) .

وفجأة تحرك (نديم) ..

لم تكن قد ضغطت زناد المسدس بعد ، عندما مال هـــو ، وانحنى ، وانثنى ، ثم انقض عليها ..

كل هذا فى لحظة واحدة ..

وشهقت (چيـــلان) فى ذعر ، عنـــدما احاطت اصـــابع (العقرب) القوية بمعصمها ، ورفعت يدها الممسكة بالمسدس عاليا ..

وانطلقت الرصاصة فى الهواء ..

وصرخت (چيلان) ..

وسقط مسدسها ارضا ..

وانهارت الإمبراطورة ، وهى تصرخ باكية :

ـــ لا يا (نديم) .. اتركنى ارحل .. ارجوك .. اقسم لك إننى لن اعود إلى تجارة المخدرات ابدا .. ولن اخبر مخلوقا واحدا بشخصيتك الحقيقية .. اقسم لك .. امنحنى فرصـــة واحدة .

جذبها فى صمت وصلابة إلى مقعد ثقيل ، وانتزع من جيبه اغلالا حديدية قوية ، قيدها بها إلى المقعد ، وهى تصرخ :

ـــ لا .. اتركنى .. خذ كل المجوهرات ، واتركنى ..

انتهى من تقييدها ، وتراجع فى هدوء ، والتقط حقيبتها ، وأخرج منها جواز السفر وتذكرة الطائرة ، ومزقهما فى سرعة ، ثم القاهما عند قدميها ، فصرخت :

ــ لا .. أرجوك .

ثم انفجرت باكية فى انهيار ، فى حين قال هو فى صرامة :

ــ كما قلت انت : إنها مسألة وقت فحسب .. ستصل شحنة المخدرات غدا ، وسيصدر وكيل النيابة أمرا بضبطك وإحضارك ، بعد ساعات قليلة ، بتهمة قتل (أكرم) ، وبعدها بتهمة تهريب المخدرات والاتجار فيها ، وأظن ان عقوبتك على التهمتين ستكون الإعدام .

سالت دموع ندمها أنهارا ، وهو يتجه إلى الباب ، مستطردا .

ــ وعندما يحين الوقت المناسب ، سيجدك رجال الشرطة هنا .

توقف وكأنما تذكر أمرا ما ، وعاد إليها ، ليلصق بمقعدها بطاقة العقرب الذهبية ، وهو يضيف :

ــ صدقينى .. لقد فقدت اللقب إلى الأبد .

واتجه مرة أخرى إلى الباب ، وقال :

ــ لقب الإمبراطورة .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء ..

* * *

٨ ــ الختـــام ..

ابتسمت (غادة) ابتسامة واسعة ، عندما رأت العقيد (مجدى) ، وهو يعبر باب المكتب ، وهتفت :

ــ ما أسعد حظنا هــذه الأيام !! إنك تزورنا يوميا تقريبا يا عزيزى (مجدى) .

عقد (مجدى) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لست فى حالة تسمح بالعبث هذا النهار .. أين (نديم) ؟

أشارت إلى حجرة (نديم) ، قائلة :

ــ فى حجرته بالطبع .

اتجه إلى حجرة (نديم) ، واقتحمها دون أن يطرق بابها ، فرفع (نديم) عينيه إليه ، وقال فى هدوء ، وكأنما لم تدهشه رؤيته :

ــ مرحبا يا (مجدى) .. تفضل .

اتجه إليه (مجدى) ، واتخذ لنفسه مقعدا ، وهو يقول فى عصبية :

ــ لقد أسقط وكيل النيابة التهم عنك .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ هذا جيد ..

ساد الصمت لحظات ، ثم أضاف (مجدى) :

ـ بعد إلقاء القبض على (چيلان) ، وثبوت التهم عليها ، لم يعد اتهامها لك يعنى شيئا .

قالت (غادة) ساخرة :

ـ بالتأكيد .

رمقها (مجدى) بنظرة غاضبة ، ثم عاد يدير عينيه إلى (نديم) ويقول :

ـ لقد انتهى الأمر كما يرغب (العقرب) .. اليس كذلك ؟

أجابه (نديم) :

ـ اظن ذلك .. سأساله فور رؤيته .

بدا الضيق على وجه (مجـدى) ، وكأنما لم يعـد يحتمل أسلوب المحاورة هـذا ، ثم رفع عينيه إلى (نديم) ، وقال فى حزم :

ـ اسمع يا (نديم) .. ربما نختلف أنا و (العقرب) فى الأسلوب ، فهو يفضل التحرك بحرية ، وأنا رجل يحب الالتزام بالقانون ، وربما يتصور هو أنه على حق ، ولكننى أيضا أظن نفسى على حق ، وأومن بـذلك تماما ، ولن أحيـد أبدا عن أسلوبى ، حتى ولو انتصر (العقرب) فى كل المعارك .

ابتسمت عينا (نديم) ، وهو يقول :

ـ إننى أحترم دائما كل من يصر على مبادئه .

تبادلا نظرة صامتة طويلة ، قبل أن ينهض (مجدى) قائلا :

ـ وأنا أيضا .

واتجه نحو باب المكتب ، ثم التفت إلى (نديم) مستطردا فى حزم :

ـ ومن هـذا المنطـلق سـأواصل محـاولاتى للإيقـاع بـ (العقرب) ، لأنه ما زال برأيى رجلا يعمل ضد القانون .

وانطلق مغادرا المكتب كقذيفة مدفـع ، ولم يكد يغلق بابه خلفه ، حتى هتفت (غادة) .

ـ يا له من عنيد !

قال (نديم) :

ـ ولكن يخلص لعمله .

سألته فى اهتمام :

ـ قل لى يا (نديم) : ترى من منكما على حق ؟

صمت لحظات ، ثم أجابها فى بطء :

ـ لست أدرى حقا يا (غادة) ، فلقد هاجمنا (چيلان) ، ونحن نتصور أنها (فوقية) ، ثم ثبت أنها لم تكن كذلك .

قالت فى عناد :

ـ ولكنها كانت مجرمة .

هز كتفيه ، قائلا :

ــ وكان من المحتمل الا تكون كذلك ، وان يقاتلها (العقرب) بلا مبرر .

قالت مبتسمة :

ــ فليكن ، ولكننى على كل الأحوال افضل (العقرب) .

وتطلعت إليه فى حنان ، مستطردة :

ــ خاصة عندما يحمل اسم (نديم) .. (نديم فوزى) ..

[تمت بحمد الله]

خلف أسوار العقل

(دراسة)

فى إحدى ليالى نوفمبر ، فى عام ١٩٦٦ م ، جلس السوفيتى (نيكولاييف) ، داخل حجرة من الرصاص ، لا يوجد بها سواه ، وأمامه ورقة صغيرة ، خط عليها أحد العلماء ــ من وحى اللحظة ــ كلمات غير مترابطة ، ورسما لا معنى له ، راح (نيكولاييف) يحدق فيهما لحظات ، دون أن تسجل أجهزة هيئة العلماء ، التى عكفت على مراقبته ، فى (موسكو) شيئا ، فى حين كان زميله (كاتشسكى) يجلس فى ظروف مماثلة ، فى (لينينجراد) ، على بعد الف كيلومتر من (موسكو) ، وقد راح يخط الكلمات نفسها ، والرسم ذاته على ورقة بيضاء ، ناولها لأحد العلماء المجاورين له ، وهو يقول :

ــ لست ادرى ما يقصده بذلك ، ولكن هذا ما أرسله .

وأصيب العلماء بالذهول ، فى (موسكو) و (لينينجراد) ، فى نفس اللحظة ، فلقد استقبل (كاتشسكى) رسالة عقلية من (نيكولاييف) ، بمنتهى الدقة ، كما لو أن عقله جهاز استقبال لاسلكى فائق التطور ..

ولكن كيف حدث هذا ؟..

بل كيف يمكن أن يحدث ؟..

لقد أعلن تلك القصة السالفة الذكر ، العالم السوفيتى (فلاديمير فيدلمان] ، وهو واحد من أشهر علماء ما فوق الطبيعيات ، فى مؤتمر لبحث الظواهر الخارقة للمألوف ، عام ١٩٦٨ م ، ولم يحاول وضع تفسير علمى للظاهرة ، وإنما أطلق عليها اسم التخاطر العقلى ، أو (التليباثى) ..

والعجيب أن المصطلح لم يكن جديدا بالنسبة لزمرة علماء الظواهر فوق الطبيعية ، الذين حضروا ذلك المؤتمر ، بل كان مصطلحا قديما ، لظاهرة ما زالت تثير جدلا علميا ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

فمع مطلع عام ١٨٦٢ م ، وبينما انشغل نصف سكان العالم فى الاحتفال بأعياد رأس السنة الميلادية ، أغلق عالم نصف معروف ، يدعى (ف . مايرز) (F. Myrs) معمله على نفسه ، وانهمك فى سلسلة من التجارب والدراسات المعقدة ، استغرقت تسعة أشهر من عمره ، قبل أن يخرج إلى العالم بذلك المصطلح الجديد (التليباثى) (Telepathy) ، دون أن يتصور أن مصطلحه هذا سيثير أكبر وأطول جدل علمى فى

التاريخ ، وأنه وبعد مرور أكثر من قرن كامل على إطلاقه هذا المصطلح ، لم ينجح شخص واحد ، أو جهة علمية ـ صغرت أم عظمت ـ فى إثبات أو نفى هذه الظاهرة ..

وكلمة (تليباثى) ، كما تقول القواميس المتخصصة ، تعنى (التخاطر عن بعد) ، أو انتقال الأفكار ، من شخص إلى آخر ـ أو آخرين ـ دون استخدام وسيلة مادية ..

أو هى ببساطة ظاهرة (قراءة الأفكار) ، كما يطلق عليها العامة ..

وعلى الرغم من كل ما أثارته ظاهرة (التخاطر عن بعد) ، من جدل ، وما أطلقته من خيال العلماء والأدباء ، إلا أن التجارب الجادة حولها لم تبدأ إلا فى عام ١٩٢١ م ، عندما قام ثلاثة من علماء جامعة (جرونتجن) بسلسلة طويلة من التجارب والمشاهدات ، انتهت بإصدار تقرير كبير ، اقتنع به عدد من العلماء ، ورفضته الغالبية العظمى منهم ..

ومن العجيب أن تلك الظاهرة تذهب بالعلماء دائما إلى طرفى نقيض ، فإما أن يؤيدها البعض فى حماس ، أو يرفضها البعض الآخر فى عناد وإصرار ، ولعل من أعظم مؤيديها العالم البريطانى (جوزيف سينل) ، الذى قضى القسم الأعظم من حياته ، فى محاولة إثبات وجود الظاهرة ، وهو يقول عنها : « إنها تشبه عملية الاتصالات اللاسلكية المعروفة ، فالعقل

البشرى يموج بالإشارات الكهربية ، التى تنتقل دوما بين المخ والأعصاب ، وتربطه بأعضاء الجسم ، وعندما تبلغ هذه الإشارات حدا مناسبا ، يمكنها أن تنتقل دون الحاجة إلى الأسلاك (الأعصاب) ، فتسافر من عقل إلى عقل » .. أما اشهر العلماء فى هذا المجال ، وهو (ج. ب. راين) ، فيقول : « الأمر عبارة عن نوع من الشفافية الروحانية ، التى تتيح للروح الالتقاء بالأرواح الأخرى ، واستنطاقها عما يدور فى أجساد وعقول أصحابها » ، ولكن هذا الرأى يبدو فلسفيا ، اكثر مما يبدو علميا او منهجيا ، ولهذا السبب رفضه كل العلماء تقريبا ، على الرغم من أن (راين) هو صاحب أول تجارب مدروسة لفحص الظاهرة ، فلقد ابتكر عام (١٩٣٤) ، فى جامعة (ديوك) اسلوبا جديدا ، يعرف باسم (اختبار أوراق اللعب) ، وفيه يحاول الشخص ، المفترض اكتسابه للقدرة على التخاطر العقلى ، استنتاج ترتيب خمس أوراق لعب مختلفة ، يتم ترتيبها عشوائيا ..

وقد يبدو هذا الاختبار هينا ، ولكنه ليس كذلك فى الواقع ، فاحتمال استنتاج موضع ورقة واحدة ، او تخمينه ، هو واحد إلى خمسة ($\frac{1}{5}$) اما احتمال استنتاج موضع الأوراق الخمسة هو واحد إلى ثلاثة آلاف ومائة وخمس وعشرين ($\frac{1}{3125}$) ، وهذا يجعل التخمين مستحيلا بالطبع ..

ولعل من أكثر ما يؤيد وجود هذه الظاهرة ، رجل يحفظ كل دارسى الظواهر فوق النفسية اسمه عن ظهر قلب ، وهو الهولندى (بيتر هيركوس) ، الذى ولد عام ١٩١١ م ، وظل يحيا كشاب عادى ، حتى انقلبت حياته راسا على عقب فجاة ، فى عام ١٩٤١ م ..

فى ذلك العام كان (بيتر) يعاون والده فى طلاء بناء من اربعة طوابق ، عندما زلت قدمه ، وسقط من الطابق الرابع ، وتم نقله إلى المستشفى فى سرعة ، فى العاشر من يوليو ١٩٤١ م ، حيث تم إسعافه ، وقدر له ان ينجو ، وان يغادر المستشفى فى الخامس من أغسطس ، من العام نفسه ..

ولكن شتان ما بين الدخول والخروج ..

لقد كشف (بيتر) ، وهو يرقد على فراشه فى المستشفى ، انه قد اكتسب خاصية عجيبة ، وهى انه ما إن يمس شيئا .. اى شىء .. حتى تندفع إلى راسه كل المشاهد والأصوات والأحداث ، التى عايشها هذا الشىء .. جمادا كان او حيوانا او نباتا ..

وكاد المسكين يصاب بالجنون فى البداية ..

بل لقد تصور أنه قد أصيب به بالفعل ..

ثم اتضحت له حقيقة موهبته الجديدة شيئا فشيئا ..

والعجيب فى ظاهرة (هيركوس) أنه ، ولأول مرة فى التاريخ، اعترفت إدارة (اسكوتلانديارد) ، بموهبة شخص يحوز صفة فوق طبيعية ، بل استدعت (بيتر هيركوس) إلى (إنجلترا) ، عام ١٩٥١ م ، حيث عاون مفتشيها على حل غموض اختفاء الماسة الشهيرة (سكون) ، وبعدها استعانت به عدة هيئات بوليسية أوربية ، وحقق فى كل مرة انتصارا مبهرا ..

وعلى الرغم من هذا لم يحظ (بيتر) باعتراف أو تأييد الأوساط العلمية ، ولم يحاول عالم واحد ، ممن أنكروا موهبته ، اختبار وجود هذه الموهبة ، بأية وسيلة ، حتى أن الصحفية (نورما ـ لى ـ براوننج) ، التى كانت من أشد المؤيدين لـ (بيتر) ، قد علقت على هذا بقولها : « لقد خسروا فرصة مثالية لفحص ظاهرة غامضة » وهى على حق ، فربما أدى فحص (بيتر هيركوس) إلى إماطة اللثام عن تلك الظاهرة ..

ولكن يبدو أن البعض يخشى إماطة هذا اللثام ..

وهذا أيضا صحيح ..

إن الرافضين لوجود هذه الظاهرة يقولون : إنه لو صح

وجودها ، فسيعنى هذا أن الأسوار التى تحيط بالعقل قد تهاوت ، وأنه لم يعد هناك مكان آمن لحفظ أية أسرار ، مهما بلغت خطورتها ، فالقاعدة الأولى ، فى عالم المخابرات مثلا ، تحظر الاحتفاظ بمعلومات مكتوبة ، وتصر على ضرورة حفظها عن ظهر قلب ، بافتراض أن العقل البشرى هو الحصن الحصين ، الذى يستحيل اختراقه ، أو نسيانه داخل درج مغلق ، أو فوق مائدة القمار ، وعلى الرغم من ذلك ، فمن يمتلك القدرة على قراءة الأفكار سيعبر أسوار العقل فى يسر وسهولة، ودون أن يقاتل العمالقة مثل (جيمس بوند) ، أو يحتال ويتخابث مثل (أرسين لوبين) ..

بل قد يتمادى أصحاب هذه المقدرة الفذة ، فيفتتحون مكاتب خاصة ، على غرار مكاتب البوليس الخاص ، يعلقون على أبوابها لافتة تقول : « هنا أسرار للبيع » ..

قد تبدو الصورة خيالية أو هزلية ، فى نظر القارىء ، ولكنها ليست كذلك فى نظر العديد من العلماء ، وأجهزة مخابرات الشرق والغرب ، بل إنهم يولونها اهتماما بالغا ، وينكبون على دراستها فى سرية ودقة ..

ولعل القارىء يتصور الآن أننا لو استبعدنا الفريق الرافض من العلماء ، فسيتبقى أمامنا المؤيدون للظاهرة فحسب .

ولكن هذا غير صحيح ..

الواقع انه ما من عالم ــ فى الكرة الارضية كلها ــ يمكنه ان يجزم او ينفى وجود هذه الظاهرة ، بصفة قاطعة ، فبعد استبعاد الرافضين لوجودها سينقسم الباقون إلى قسم أعظم ، يقف على الحياد ، غير مؤيد او معارض ، او هو ينتظر ما سيتوصل إليه الآخرون ، وقسم صغير ، يميل إلى الإيمان بوجود الظاهرة ، ولكنه يلقى سؤالا اكثر اهمية ، وهو يقلب بين يديه نموذجا صغيرا للمخ البشرى ..

من أين تنبع هذه الظاهرة ؟..

فعلى الرغم من التقدم الطبى والتكنولوجى والتقنى ، الذى توصل إليه العالم ، فى هذه السنوات الأخيرة ، من القرن العشرين ، إلا ان اجزاء كبيرة من المخ البشرى ما زالت غامضة تماما ، وما زال ذلك العضو الرخوى البيضاوى ، الذى يبلغ وزنه التقريبى فى الرجل حوالى رطلين وعشرة اوقيات (اى ما يساوى ١/٤٠ من وزن الجسم تقريبا) يثير حيرة أعلم العلماء ..

والمخ يتكون من نصفين ، أيمن وأيسر ، يشتركان لصنع الفص الأمامى والفص الخلفى ، ثم يحوز كل منهما فصا جداريا، وآخر صدغيا ، فى حين يلتقيان من الخلف عند المخيخ ، والجسم الصنوبرى الصغير ..

ولقد درس العلماء كل خلية من خلايا هذا المخ ، وعرفوا وظيفة كل جزء فيه ، فيما عدا منطقتين ، توقف امامهما الجميع

فى حيرة ، وهما الجسم الصنوبرى والفص الأمامى ، فتوصلوا إلى جزء ضئيل من وظائف الأول ، وعجزوا تماما عن فهم وظيفة الثانى (مع الإيمان التام بأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لم يخلق شيئا عبثا) ..

وأثار التحدى حماس العلماء ، وجمعوا مئات من حيوانات التجارب المسكينة ، وراحوا يمزقون فصوصها ، ويغرسون فيها الأسلاك والأعمدة ، دون أن يسفر هذا عن نتائج واضحة ، بل إن مراجع الطب الشرعى تحدثت عن حالة ، انغرز فيها نصل خنجر لعشرة سنتيمترات ، فى الفص الأمامى لمخ آدمى ، دون أن يؤثر ذلك فى وظائف المصاب الحيوية ، أو حتى غير الحيوية ..

وتضاعفت حيرة العلماء ..

وبقى السؤال ..

هل الفص الأمامى هو محطة الإرسال والاستقبال التخاطرى ؟..

ولم يأت الجواب بعد ..

ولن يأتى ؛ لأن إثبات ظاهرة فوق نفسية ، مثل التخاطر العقلى، كان وسيظل عسيرا ؛ لأن العلماء سيعجزون دوما عن إمساكها بأيديهم ، وتقليبها ، ووضعها تحت المجهر وتصويرها ، وتكبيرها ، و .. و ... وإلى أن يأتى ذلك اليوم (المستحيل) ، سنظل نردد قول أحد كبار العلماء ، المؤمنين بوجود الظاهرة :

« ينبغى أن يتوقف العلم عن محاولاته الدائبة ؛ لإثبات وجود هذه الظواهر ، ويحصر جهوده فى بحث كيفية الإفادة منها ، حتى لا نكون كمن يقضى عمره كله فى محـــاولة إثبات كونه حيا ، ثم تنقضى حياته ، دون أن يصنع فيها شيئا واحدا .. » وإلى أن تحظى ظاهرة (التليباثى) بالاعتراف ، دعونا نتخذ الحذر ، فقد يكون حولنا بعض من يمتلكون تلك القدرة ، ويسعون للتسلل خلف أفكارنا ..

وخلف أسوار العقل ..

د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب

أرزاق

رواية اجتماعية طويلة

من قلب الليل يأتى النهار ..
ومن قلب الظلم تأتى الرحمة ..
ومن المحال أن نأمل دوام الحال ..

ملخص ما سبق نشره

تحوّل الحاج (البنهاوى) ــ بكفاحه ــ من الفقر إلى الثراء ، فى القرية التى انتقل إليها ، فى مديرية الغربية ، وراح يبذل أقصى جهده ؛ لمنح أبنائه كل عوامل القوّة ، فسعى لإلحاق ابنه الأكبر (حسين) بالكلية الحربية ، فى حين فشل ابنه (حافظ) فى الحصول على شهادة البكالوريا ، وسعى (مفيد) ــ الابن الأصغر ــ للنجاح ، محاولًا اتخاذ طريق يختلف عن طريق شقيقه (حسين) ، الذى بذل بدوره جهدًا كبيرًا ؛ لإقناع والده بالسعى للحصول على لقب (باشا) ، مقابل رشوة كبيرة للقصر الملكى ، وما إن علم عمدة القرية ومأمور الناحية بالأمر ، حتى راحا يدسّان الدسائس و (البنهاوى) وعائلته ؛ لمنعه من نيل لقب الباشا ..

وبمؤامرة خبيثة ، أوقع العمدة والمأمور (البنهاوى) و (حسين) فى قبضة البوليس السياسى ، وحاولا الإيقاع بـ (مفيد) ، وإلقائه فى السجن ، والقضاء على حبه لـ (مديحة) ، ابنة (إسماعيل) ، العامل فى أرض والده ..

ومع قيام الثورة ، انقلبت كل الأمور ، وأصبح (حسين) ووالده بطلين ، رفعهما أهل القرية فوق رءوسهم ، وتضاعفت قوتهما مع عمل (حسين) مع رجال مجلس قيادة الثورة فعليًا ، حيث استدعاه (رفعت كسّاب) ، أحد رجال الثورة ، للانضمام إلى جهاز سرّىّ جديد ، يعمل على الحفاظ على أمن الثورة وسياستها ..

ومع تطوّر الأحداث ، وصدور قانون الإصلاح الزراعى ، يلقى (البنهاوى) مصرعه ، ويكتشف الجميع أنه قد كتب ثروته وأرضه كلها باسم (حسين) وحده ، مما أثار غضب الباقين ، وعلى رأسهم (عمر) ، زوج الشقيقة الكبرى (نعيمة) ، الذى رفع الأمر إلى القضاء ، وتقدّم بشكوى خاصة لـ (محمد نجيب) ، ولكن (رفعت كسّاب) اعتقل (عمر) ، وأجبره على التنازل عن الشكوى والقضية ، وخرج (عمر) من المعتقل ناقمًا حاقدًا ، وإن لم يعلن عن مشاعره ، حتى وقع (حسين) فى خطإ أدّى إلى إقالته ، وهنا شهر الجميع خناجرهم فى وجهه ، وهاجمه العمدة والمأمور ، وحاربه الجميع ، وطلّق (عمر) (نعيمة) ، وتزوّج أخرى ، فى حفل علنى شامت ، وأعلن (مفيد) عن رغبته فى الزواج من حبيبة عمره (مديحة) ..

وفجأة تم استدعاء (حسين) لمقابلة شخصية هامة ، على نحو سرّىّ وغامض ..

وكانت المفاجأة الكبرى ..

لقد قابل (جمال) ..

(جمال عبد الناصر) ..

٣٧ ــ انتفاضة ..

مضت لحظات رهيبة من الصمت التام ، والسكون المطبق ، وعينا (عبد الناصر) ، الشبيهتان بعينى أسد هصور تجوبان وجه وجسد (حسين) ، الذى راح ينتفض فى قوة ، أمام تلك النظرات القوية الحازمة الصارمة الفاحصة ، عاجزا عن تمالك نفسه ، إلى أن قال (عبد الناصر) فى هدوء مخيف :

ــ كيف حالك يا (حسين) ؟

أتى صوت (حسين) مرتجفا ، خافتا ، يحمل رهبة العالم كله ، وهو يجيب :

ــ فى خير حال يا سيدى .

بدت ابتسامة صغيرة للغاية ، عن طرف فم (جمال) ، وهو يقول :

ــ لقد عزلك (نجيب) من منصبك ؛ بسبب تأييدك العلنى لى .. أليس كذلك ؟

ازدرد (حبين) لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

ــ بلى يا سيدى .

حمل صوت (جمال) من الغضول أكثر مما حمل من الحزم ، وهو يقول :

ــ ألا يبدو لك هذا التأييد العلنى نوعا من الحماقة ؟

أجاب (حسين) ، وقد بدا له أنه من غير اللائق أن يؤيد هذا القول :

ـ مطلقا يا سيدى .

سأله (جمال) فى اهتمام :

ـ الا تشعر بالندم إذن ؟

أجاب (حسين) فى ضيق :

ـ محال أن افعل يا سيدى .

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتى (عبد الناصر) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. إنك تصر على موقفك ، على الرغم من كل ما قاسيته ، وما يبدو واضحا فى نحولك وشحوبك .

واقترب خطوة من (حسين) ، وربت على كتفه ، مستطردا :

ـ هذا هو الرجل الذى احتاج إليه .

ثم استدار ، واتجه إلى مكتبة صغيرة ، فى ركن حجرة مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يراجع محتوياتها فى صمت ، مما أورث (حسين) مزيدا من التوتر والقلق ، وجعله يتساءل فى أعماقه للمرة الألف : فيم ولم استدعاه (جمال عبد الناصر) ، ثم انتفض جسده ، عندما التفت إليه (جمال) على نحو مباغت ، وقال فى حزم :

ـ اسمعنى جيدا يا (حسين) .

أصغى إليه (حسين) بكل حواسه وقلقه وتوتره ، و (جمال) يتابع بنفس اللهجة الحازمة ، التى يشوبها شىء من الصرامة :

ـ اعتبارا من الغد ، ستدخل الثورة مرحلة جديدة ، وخطيرة .. مرحلة تحتاج فيها لكل رجل مخلص ، من أجل القضاء على أعدائها ، وتصفيتهم ، ووضع كل رجل من رجالها فى موضعه الصحيح ، تمهيدا للانطلاق نحو القمة .

ازدرد (حسين) الشىء النذر من لعابه ، وهو يتمتم :

ـ القمة ؟!

لوح (حسين) بيده ، قائلا :

ـ نعم يا (حسين) .. إن هذا الشعب ، الذى ننتمى إليه ، لمن أعظم وأعرق الشعوب ، ولا تنقصه سوى القيادة الحازمة المخلصة ، لينطلق إلى قمة الحضارة ، ويتخذ مكانه بين شعوب العالم الأولى .

ثم ضم قبضته ، مستطردا :

ـ وسأبذل عمرى فى سبيل دفعه إلى هذا .

تضاعف توتر (حسين) ، وتزايدت حيرته ، وهو يستمع إلى كلمات (جمال) الحماسية ، حتى أنه غمغم فى تردد :

ـ وما دورى أنا يا سيدى ؟

ابتسم (عبد الناصر) ، واتجه إليه مرة أخرى ، وربت على كتفه ، وقال :

ـ ستكون ذراعى اليمنى يا (حسين) .

كانت مفاجأة أعظم من أن يحتملها (حسين) ، الذى هتف فى ذهول :

ـ أنا ؟!

أجابه (عبد الناصر) فى حزم ، وبلهجة رجل لا يحتمل أو ينتوى النقاش :

ـ نعم .. أنت .. لن أمنحك اية صفة رسمية حاليا ، ولكننى سأمنحك سلطة مطلقة ، اعتبارا من صباح الغد ، وحتى تنتهى الأزمة ، التى ستبدأ غدا .. والمطلوب منك هو ان تعتقل كل من تتضمنه قائمة خاصـــة ، سأمنحك إياها الآن ، وأن تضيف إليها من تشك فى أمره ، أو فى ولائه للثورة ولى .. وبالسلطة التى امنحك إياها ، يمكنك أن تنتـــزع حتى مدير الأمن من موقعه ، وعليك أن تحسن استغلالها جيـــدا ، أما بالنسبة لعائلتك ، فقد أرسلت من يبلغهم بعودتك إلى عملك ، ويشيع الأمر فى القرية ، ثم يؤكد لهم أنك هنـــا فى القيادة ؛ لأمر بالغ الأهمية ، حتى لا يقلقهم غيابك ، وستجد هنـــا كل الملابس والأدوات التى تحتاج إليها ، حتى نهاية الأزمة .

بلغ انفعال (حسين) ذروته ، وهو يسأل :

ـ وما نوع تلك الأزمة يا سيدى ؟

لم ير فى حيـــاته كلهـــا عينين اشـــد غموضـــا من عين (عبد الناصر) ، ولا ابتسامة اكثر إثارة للخوف والقلق من ابتسامته ، وهو يجيب :

ـ ستعلم غدا يا (حسين) ، وإن غدا لناظره قريب ..

نعم ..

غدا لناظره قريب ..

قريب جدا ..

* * *

« لقد اطلقوا النار على (عبد الناصر) فى (المنشية) .. »

هتف المأمور بتلك العبارة ، وهو يلقى نفسه على اريكة واسعة ، فى دار العمدة ، وقد شحب وجهه فى شدة ، وراح يلهث ويتصبب عرقا ، من فرط التوتر والانفعال ، وشاركه العمدة توتره ، وهو يقول فى صوت مختنق :

ـ كيف ؟.. ولمـــاذا ؟.. و ...

قاطعه المأمور ، وهو يلوح بذراعيه فى شدة :

ـ كان يلقى خطابا ، كما يفعل رجال الثورة عادة ، فى السادس والعشرين من اكتوبر ، عنـــدما أطلق عليه أحدهم النار ، وراح (عبد الناصر) يهتف مطالبا الناس بالبقـــاء فى أماكنهم ، ومتحديا الرصاصات ، التى تنهال عليه ، وصارخا بأنه لا يهاب الموت ، وبأنه لو مات (جمال عبد الناصر) ، فكل الشعب (جمال عبد الناصر) ، وبأنه هو الذى علمنـــا العزة والكرامة ، و ...

هتف العمدة مستنكرا :

ـ هو الذى علمنا العزة والكرامة ؟!.. الم يملكهما شعبنا من قبل حتى أن يولد (جمال) هذا ؟

أمسك المأمور يد العمدة فى قوة ، وهو يقول فى حدة :

ــ دعك الآن من هذه النعرة القومية ، واخبرنى : هل تجد رابطا بين هــذا وتلك الشائعة ، التى تتردد فى القرية منذ مساء أمس ، عن عودة (حسين البنهاوى) إلى عمله .

قال العمدة فى حدة :

ــ انا لم أصدق هذه الشائعة .

ثم صمت لحظة ، واضاف فى توتر :

ــ ثم كيف يرتبط هذا بذاك ؟.. إن (عبد الناصر) لم يكن يعلم حتما ان أحدهم سيطلق النــار عليه فى (المنشية) .. اليس كذلك ؟

ازداد المأمور شحوبا ، وتراجع فى الأريكة ، وعاد وجهه يتصبب عرقا ، وهو يتمتم :

ــ من يدرى يا رجل ؟.. من يدرى ؟

* * *

حثت (مديحة) الخطا ، وهى تعبر الحقل ، فى طريقها إلى جذع الشجرة الكبيرة ، ولم تكد تلمح (مفيد) ، وهو يستند بظهــره إلى الجذع القديم كعــادته ، حتى زادت من سرعة خطواتها ، وغمغمت فى حب ، وهى تجلس إلى جواره :

ــ مساء الخير يا (مفيد) .

انتزع نفســه من شروده ، وامتــلأ وجه بابتسامة حب حانية ، وهو يلتفت إليها ، مغمغما :

ــ مساء الخير يا (مديحة) .. كيف حالك ؟

تجرأت على مداعبة خصلة من خصلات شعره بأناملها ، وهى تهمس :

ــ فى خير حال ، ما دمت إلى جوارك يا (مفيد) .

تسللت يده تحتضن كفها ، وهو يقول :

ــ كم احبك يا (مديحة) .

اطرقت فى حياء ، وتضرج وجهــها بحمرة الخجل ، وهى تهمس :

ــ هل .. هل تحدثت إلى (حسين) ؟

ضغط كفها فى رفق ، مجيبا :

ــ نعم .. لقد فعلت .

رفعت عينيها إليه ، تسأله فى لهفة :

ــ وبم اجاب ؟

تنهد فى عمق ، وقال :

ــ لم يجد الوقت ليفعل .

انقبض قلبها ، وهى تسأله فى قلق :

ــ ماذا تعنى ؟

قص عليهــا ما حــدث فى كلمــات موجزة ، فانكمشت فى موضعها ، وغمغمت :

— هل تظنه يوافق ؟

أجابها فى حزم :

— ليس امامه سوى ان يفعل .

ازداد انكماشها ، وهى تتمتم :

— قد يرفض ؛ لأن والدى ..

قاطعها فى حزم :

— لن أمنحه الحق فى هذا .

رفعت عينيها إليه فى حيرة ، فاضاف :

— يبدو انك لم تدركى لماذا انتظرت ، حتى ابلغ الحادية والعشرين ..

لقد فعلت لأضمن قدرتى على القتال من اجلك يا (مديحة) .. إننى أسأل (حسين) رأيه من الناحية الادبية فحسب ، بصفته شقيقى الاكبر ، اما من ناحية الحقوق فسأتزوجك ، شاء هو أم أبى ، ولن أسمح لمخلوق واحد بفرض وصايته على عواطفى .

ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تتمتم :

— حقا يا (مفيد) ؟

ربت على كتفها ، وضم كفها إلى صدره فى حرارة وحب ، وهو يقول :

— لن يفرقنا مخلوق يا (مديحة) .. صدقينى .

كانت تبتغى تصديقه حقا ، ولكن شيئا ما فى اعماقها كان يرتجف ..

وبكى ..

* * *

لم تشهد (مصر) كلها ، حتى هذا التاريخ ، حملة اعتقالات واسعة ، كتلك التى حدثت ، بعد واقعة إطلاق النار على (جمال عبد الناصر) فى المنشية ..

كل الإخوان المسلمين ..

كل السياسيين ، من عهد ما قبل الثورة ..

كل زعماء الاحزاب ..

كل خصوم الثورة ..

بل بعض ابنائها ..

التهمت النيران الجميع ..

حتى أصحابها ..

هكذا شعر (رفعت كساب) ، بعد اسبوعين كاملين من بداية حملة الاعتقالات ، عندما وجد (حسين البنهاوى) أمامه فى مكتبه ، فهتف والقلق يملأ نفسه :

ـ (حسين) كيف حالك يا رجل ؟.. لقد علمت من (إبراهيم مكى) خبر عودتك إلى العمل ، وخروجك على رأس حملة اعتقال أعداء الثورة ، و ...

قاطعه (حسين) فى برود :

ـ معذرة يا (رفعت) بك ، ولكننى لست هنا لزيارة عادية .. إن لدى أوامر خاصة ومحدودة .

هوى قلب (رفعت) بين قدميه ، وخيل إليه أن مخاوفه كلها تتخذ صورة واضحة ملموسة ، وهو يحدق فى وجه (حسين) ، هاتفا بصوت متحشرج مختنق :

ـ أوامر محدودة ؟!

أجاب (حسين) بنفس البرود ، وبشىء من الصرامة :

ـ نعم يا (رفعت) بك .. معذرة .. إننى أنفذ واجبى .

ردد (رفعت) مرة أخرى :

ـ واجبك ؟!

لم يشأ (حسين) إضاعة المزيد من الوقت ، فى شرح ما لديه ، فقال فى حزم :

ـ إن لدى أمرا باعتقالك ، وتحديد إقامتك فى منزلك ، تحت حراسة الـ ..

قاطعه (رفعت) صارخا :

ـ اعتقالى ؟!.. تحديد إقامتى ؟!.. هل جننت ؟

قال (حسين) ، فى مزيج من الحزم والصرامة :

ـ أرجو الا اضطر للجوء إلى القوة ، و ...

قاطعه (رفعت) صارخا :

ـ القوة ؟!.. هل بلغ الأمر هذا الحد ؟.. هل نسيت من أنا ومن أنت يا رجل ؟.. إننى أحد رجال هذه الثورة !.. أنا الذى بنيت هذا الجهاز السرى كله .. أنا الذى صنعت أمن الثورة منذ بدايتها ، أنسيت انك كنت مجرد طالب مجهول ، من طلاب الكلية الحربية ، وانك ما كنت لتحلم ببلوغ ما بلغت لولاى .. أنا الذى جذبك إلى هنا .. وأنا الذى ..

قاطعة (حسين) هذه المرة :

ـ إننى انفذ الأوامر .

صرخ (رفعت) :

ـ أوامر من ؟

أجابه فى حزم :

ـ أوامر (جمال عبد الناصر) .

لوح (رفعت) بذراعيه ، وهو يصرخ :

ـ ومن أعطى (عبد الناصر) حق إصدار الأوامر .. إن (محمد نجيب) لا يزال الرئيس الرسمى للبلاد ، وليس من حق مخلوق غيره إصدار مثل هذا الأمر .

مط (حسين) شفتيه ، وقال :

ـ إنك لم تترك لى الخيار إذن يا سيدى .

ثم انتزع مسدسه فى حركة مباغتة ، والصقه بجبهة (رفعت) ، وهو يستطرد :

ـ فأوامرى تقتضى قتلك ، فى حال مقاومتك لأمر الاعتقال .

شحب وجه (رفعت) ، وجحظت عيناه فى رعب وذهول ، ثم لم يلبث أن انهار ، وأخفى وجهه بكفيه ، وهو يهتف :

ـ أنا لم .. لم أقاوم .

ثم رفع عينين مغرورقتين بالدموع إلى (حسين) ، واستطرد :

ـ ولكن إكراما لصداقتنا السابقة ، ورعايتى لك ، أرجوك أن تأمر الجنود بحسن معاملتى .

ربت (حسين) على كتفه ، وقال :

ـ اطمئن .

وعندما ابتعد الجنود بـ (رفعت كساب) ، كانت عبارة من عبارات الأميرة (عايدة) تتردد فى عقل (حسين) ..

« وكما حدث فى الثورة الفرنسية ، ستلتهم هذه الثورة أبناءها .. وتهوى .. »

لقد رأى بنفسه نصف النبوءة يتحقق ..

لقد بدأت الثورة مرحلة التهام أبنائها ..

ولكن هذا لم يقلقه هو بالذات ، بل منحه شعورا بالقوة ..

القوة بلا حدود ..

* * *

٣٨ ـ الحساب ..

كانت ليلة شديدة البرودة ، من ليالى (نوفمبر) ، عندما طرق (حسين) باب شقته القديمة ، فى (جاردن سيتى) ، ووقف ينتظر ، وذكرياته تعود به إلى الماضى ، عندما كان يلتقى فى هذه الشقة بـ (عايدة) ، وعندما فاجأه فيها (إبراهيم مكى) ، و ...

وقطع (إبراهيم مكى) سيل ذكرياته هذه المرة ، عندما فتح باب الشقة ، التى استولى عليها ، بعد إقالة (حسين) ، وابتسم فى هدوء ، وهو يواجه هذا الأخير ، قائلا :

ـ مرحبا يا (حسين) .. كنت أنتظرك .

تجاوزه (حسين) إلى داخل الشقة ، وراح يملأ عينيه بمحتوياتها ، التى لم تتغير منها قشة واحدة ، منذ رآها آخر مرة ، ثم التفت إلى (إبراهيم) ، وقال فى لهجة تحمل الكثير من الشماتة :

ـ أكنت تنتظرنى حقا ؟

ابتسم (إبراهيم) ابتسامة ماكرة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. إننى أعلم كيف تسير مثل هذه الأمور ، ومنذ اعتقال (رفعت كساب) أمس ، أعددت حقيبتى ، وجلست أنتظر .

شعر (حسين) بدهشة حقيقية ، وهو يواجه (إبراهيم) هذه المرة ..

أدهشه كيف يتقبل مثل هذه الامور ، بكل البساطة واللامبالاة ..

وفى شىء من الحدة ، سأله :

ـ اتعلم لماذا انا هنا ؟

هز (إبراهيم) كتفيه فى هدوء ، وقال دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ـ لتعتقلنى بالطبع .

أغاظه أن يعلم (إبراهيم) هذا ، وأن يتقبله بكل هذه البساطة ، إلى الحد الذى يفقده هو لذة التشفى والظفر ، فعقد حاجبيه ، وقال :

ـ هذا يعنى اننى ربحت المعركة .

اطلق (إبراهيم) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ بل ربحت هذه الجولة .

احتد (حسين) ، وهو يقول :

ـ ومن ادراك انها ليست الجولة الاخيرة ؟

ابتسم (إبراهيم) فى سخرية ، واشعل سيجارته فى بطء وهدوء ، ونفث دخانها بعيدا ، قبل ان يقول :

ـ لا توجد جولة اخيرة ، فى لعبة الحكم والسياسة يا (حسين) .. كل ما تراه عبارة عن مرحلة ، ستمضى إن عاجلا او آجلا ، وتاتى بعدها مرحلة تالية ، ثم مرحلة تالية ،

وهكذا .. وفى هذه المرحلة تقوم انت باعتقالى ، ولكن من يدرى ؟ ، ربما اشرف انا على إعدامك ، فى مرحلة قادمة .

قالها واطلق ضحكة ساخرة عالية ، انتفضت لها دماء الغضب فى عروق (حسن) ، وهتف :

ـ لن تاتى هذه المرحلة ابدا .

وانتزع مسدسه ، وصوبه إلى (إبراهيم) ، مستطردا فى حدة :

ـ اتعلم اننى استطيع قتلك الآن ، مدعيا انك حاولت الهرب ؟

هز (إبراهيم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ بالطبع .. ولن يحاسبك او يعاقبك مخلوق واحد على هذا .. بل قد تحصل على وسام الشجاعة والفداء .

وصمت لحظة ، ثم اضاف :

ـ ولكنك لن تفعل .

جذب (حسين) إبرة المسدس ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن يمكنك أن تجزم .

عاد (إبراهيم) يهز كتفيه ، وينفث دخان سيجارته ، ثم قال :

ـ ربما امكننى ان استنتج ، فانت تنتمى إلى اصل كريم ، وفى اعماقك تختفى شهامة ريفية ، ستمنعك حتما من قتلى غيلة .

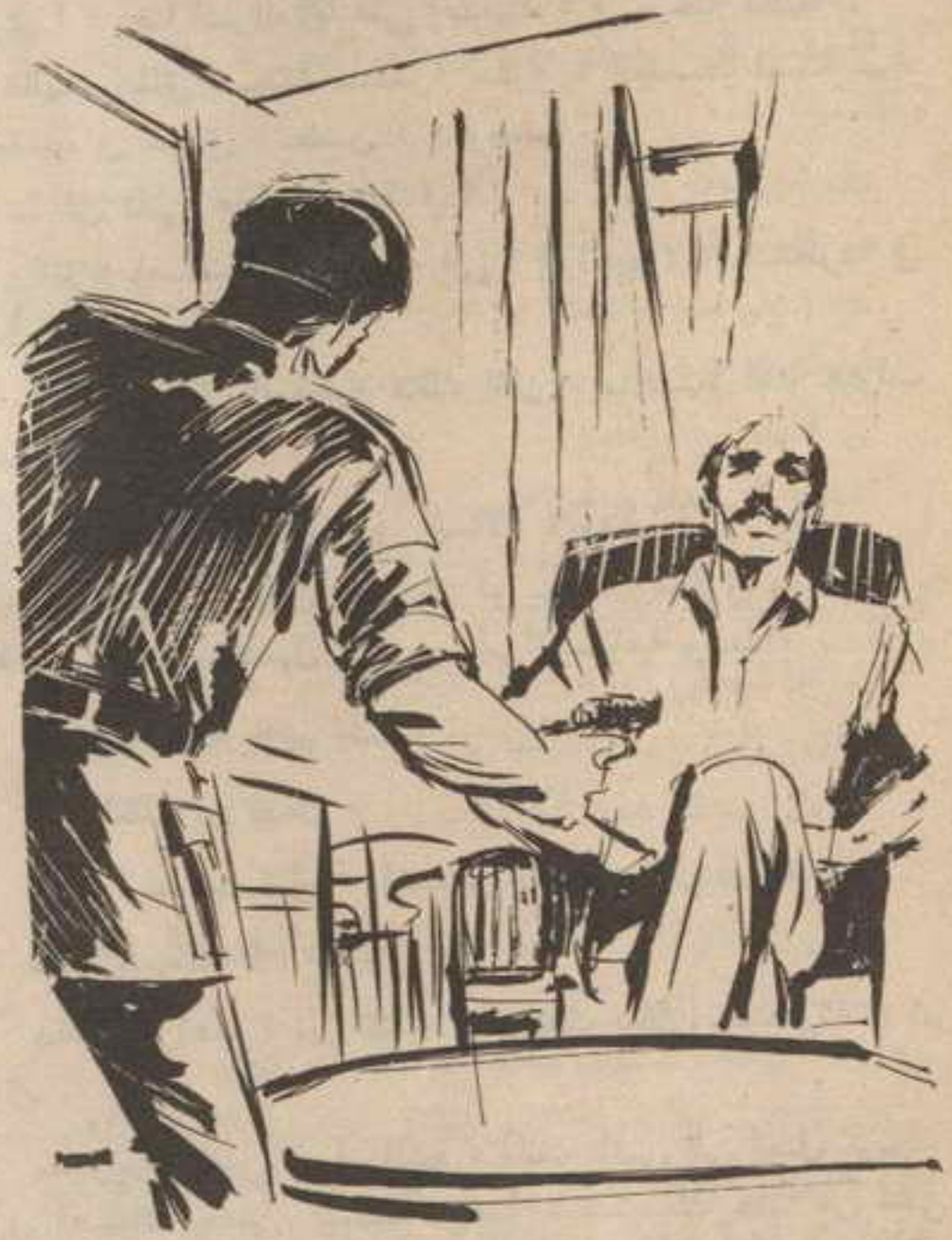

ران عليهما الصمت لحظات ، ومسدس (حسين) مصوب إلى راس (إبراهيم) ، ثم اعاد (حسين) إبرة مسدسة إلى موضعها ، واعاد المسدس نفسه إلى جيبه ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. سأعفو عنك هذه المرة ، فالمصير الذى ينتظرك اسوأ من الموت .

ابتسم (إبراهيم) ، وهو يطفىء سيجارته ، ويلتقط حقيبته ، قائلا :

ـ من يدرى يا صديقى ، اينا ينتظره المصير الأسوأ ؟

وعلى الرغم منه ، ارتجف جسد (حسين) ، وانحفرت العبارة فى اعمق اعماقه ، وهو يقود (إبراهيم مكى) إلى سيارة الجيش ، التى تنتظر لتقوده إلى المعتقل ، وتابع السيارة ببصره وهى تبتعد ، وعبارة (إبراهيم) تنازع لذة الظفر فى اعماقه ..

لقد تخلص من أقوى خصومه ..

ولكن المعركة لم تنته بعد ..

وانتقامه لم يتحقق إلى الآن ..

ولن يهدأ حتى يكتب له النصر ..

كل النصر ..

* * *

اندفعت (شريفة) من السراى ، تلقى نفسها بين ذراعى شقيقها (حسين) ، وهى تهتف :

ـ (حسين) .. شقيقى الحبيب .. كم اشتقنا إليك .

طبع على وجنتها قبلة روتينية ، ثم أزاحها جانبا ، وأشار إلى سيارتى الشرطة العســـكرية ، اللتين تقفان إلى جوار سيارته ، وهو يقول فى لهجة آمرة :

ـــ أريد مأمور الناحية هنا ، بعد نصف الساعة فقط .. هيـــا .

انطلقت واحدة من السيارتين ؛ لتنفيذ الأمر ، فى حين بقيت الثانية أمام السراى ، وخطا هو داخل المكان فى خطـــوات سريعة ، وهو يسأل (شريفة) :

ـــ أين (مفيد) و (نعيمة) ؟

أجابته وهى تسرع خلفه :

ـــ (مفيد) فى الخارج ، و (نعيمة) مع ابنتها فى حجرتها.

سألها وهو يجلس فوق مقعد والده ، ويضع إحدى ساقيه فوق الأخرى :

ـــ أما زالت (نعيمة) ترغب فى العودة إلى زوجها ؟

تنهدت ، وجلست على المقعد المجاور له ، قائلة :

ـــ إنها تحبه كما تعلم .

ابتسم وهو يقول :

ـــ لابد من إعادته إليها إذن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اندفعت (فاطمة) إلى المكان ، وهتفت بصوتها الأجش ، الشبيه بأصوات الرجال :

ـــ مرحبا يا (حسين) بك .. مرحبا .. أضأت السراى بقدومك ..

قاطعها فى صرامة :

ـــ كفى .. لست أحب هذه الأساليب المبتذلة .

رمقتها (شريفة) بنظرة شامتة ، فى حين انكمشت هى فى انكسار ، وغمغمت فى خنوت واستكانة :

ـــ هل تحب أن أعد لك شيئا من الطعام ، أو ...

قاطعها فى ازدراء :

ـــ لا .. ليس أنت .

ازدادت انكسارا ، وهى تقول :

ـــ هل أخبر (حافظ) بقدومك ، أو آتيك بـ (طارق) ؟

قال فى صرامة :

ـــ ليس الآن .. أغربى عن وجهى فى هـــذه اللحظة .. هيـــا .

تراجعت فى خزى ، وانسحبت فى صمت ، فهتفت (شريفة) فى شماتة :

ـــ أحسنت الفعل .. هذا النوع من الغوغاء يحتاج إلى الحزم والصرامة .

ابتسم فى زهو ظافر ، وربت على كتف شقيقته ، ثم نهض قائلا :

ـــ أخبرى (نعيمة) أن تستعد .

سألته فى دهشة :

ـــ تستعد لمـــاذا ؟

أجابها وهو يسرع إلى الخارج :

ـ للعودة إلى زوجها بالطبع .

حدقت فيه غير مصدقة ، وهو يغادر السراى ، ويقول لأحد جنود سيارة الشرطة العسكرية :

ـ انتظر هنا يا رجل ، واحضر المأمور إلى دار العمدة ، عندما يأتى به زملاؤك .

ضرب الجندى كعبيه بعضهما ببعض ، وادى التحية العسكرية فى حماس ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيدى .

أما (حسين) ، فقد انطلق بسيارته ، ولحقت به سيارة الشرطة العسكرية ، وراح هو يقود سيارته عبر طرقات القرية الضيقة ، فى زهو واضح ، والجميع يتطلعون إلى موكبه وهيبته ، حتى بلغ منزل (عمر) ، زوج (نعيمة) ، فأوقف السيارة ، وغادرها وهو يقول لجنود الشرطة العسكرية :

ـ لا تسمحوا لمخلوق بالاقتراب .

قفز الجنود من السيارة ، وشهروا اسلحتهم ، وهم يحيطون بباب المنزل ، فى حين دق (حسين) باب المنزل فى عنف ، حتى فتح (عمر) الباب ، ووقف يحدق فى وجه (حسين) فى شحوب ورعب ، فدفعه هذا الأخير جانبا ، وخطا داخل المنزل ، وأغلق الباب خلفه ، وهو يقول :

ـ أهلا يا (عمر) .. كيف حالك وحال زوجتك الجديدة ؟

لم ينبس (عمر) ببنت شفة ، وهو يزداد شحوبا ، فى حين اتخذ (حسين) مجلسه فى هدوء ، واستطرد فى شماتة ساخرة :

ـ هل بلغتك الأخبار الجديدة ؟.. لقد تم اعتقال (محمد نجيب) ، وتحديد إقامته فى ڤيلا (المرج) ، وعزله من منصب رئيس الجمهورية ، و (جمال عبد الناصر) الآن هو الرجل الأول فى (مصر) ..

ازدرد (عمر) لعابه الجاف فى صعوبة ، وارتجف جسده فى رعب هائل ، وهو يستعيد ما فعله به (رفعت كساب) ورجاله من قبل ، فى حين تابع (حسين) :

ـ ولقد أسند إلى (جمال عبد الناصر) مهمة اعتقال أعداء وخصوم الثورة ، دون أن يقيدنى بأعداد خاصة ، مما يتيح لى اعتقال أى كائن أشاء .

انهار (عمر) تماما ، وترقرقت الدموع من عينيه ، حتى قال (حسين) :

ـ ولكننى لا أستطيع اعتقال زوج شقيقتى بالطبع .

ارتجف جسد (عمر) ، وهو يقول بصوت شاحب واهن :

ـ سأعيد (نعيمة) إلى عصمتى بالطبع .. الآن لو أردت .

مط (حسين) شفتيه ، وقال :

ـ كنت أتمنى هذا ، ولكننى أرفض تماما أن تكون شقيقتى زوجة ثانية .

انهار (عمر) اكثر ، وهو يقول :

ـ ولكن زوجتى حامل ، و ...

قاطعه (حسين) بصوت هادر :

ـ لست اقبل الاعذار يا رجـل .. انت تفهـم ما اقول تماما .. لقد ارسلت فى طلب ماذون القرية ، وسيكون عليك أن تطلق زوجتك طلقة بائنـة اولا ، ثم تعقـد قرانك على شقيقتى ، وتقيم لذلك حفلا فاخرا كبيرا ، يفوق حفل زواجك الثانى ، وإلا فساعود لاصطحابك الليلة .. هل تفهم ؟

بكى (عمر) بدموع حقيقية ، وهو يقول :

ـ فهمت يا (حسين) بك .. فهمت .

وعندما غادر (حسين) منزل (عمـر) ، كان شـعوره بالظفر يتضاعف ..

ويكبر ..

* * *

انتفض جسد العمدة ، عندما توقفت سيارة (حسين) أمام داره ، وهبط منها هذا الأخير ، وخلفه عدد من جنـود الشرطة العسكرية ، ولكن انتفاضة العمدة لم تمنعه من فتح ذراعيه عن آخرهما ، وهو يندفع نحو (حسين) ، هاتفا :

ـ مرحبا بالكريم ابن الكريم .. مرحبا يا (حسين) بك ..

استقبله (حسين) بنظرة باردة ، وهو يقول :

ـ أهلا يا عمدة .

ثم تجاوز الذراعين المفتوحين ، وجلس على اريكة مجاورة للباب ، وقال فى لهجة تحمل رائحة ساخرة :

ـ سنستعير حجـرة الضـيافة لديك ، لاداء عمل ما يا عمدة .

هتف العمدة ، وهـو يدفع فى صوته اكبر قدر ممكن من الحماس :

ـ على الرحب والسعة يا (حسين) بك .

ابتسم (حسين) فى سخرية ، ثم اشـار إلى الجنـود ، فاسرع احدهم إلى الخارج ، ثم عاد بصحبة المأمور ، الذى لم يكد يلمح (حسين) حتى اندفع نحوه هاتفا :

ـ (حسين) بك .. مرحبا بك فى ..

قاطعه (حسين) فى صرامة :

ـ أتعلم اننى قد اقتنعت بمبدئك ايها المأمور ؟

توقف المأمور مبهوتا ، وهو يقول :

ـ اى مبدإ يا (حسين) بك ؟

قال (حسين) فى برود :

ـ مبدأ ان القرية لا تحتمل وجود خائن داخلها .

استعاد ذهن المأمور على الفور موقفه السابق مع (حسين) عند مدخل القرية ، فتفجرت الدموع من عينيه بغتة ، وهتف :

ـ الرحمة يا (حسين) بك !! الرحمة !

تجاهل (حسين) دموع الرجل ، وهو يقول :

ـ لهـذا استصدرت قرارا بإحالتك إلى التقاعد أيهـا المأمور .

بكى المأمور فى حرارة ، و (حسين) يستطرد فى شماتة :

ـ ولقـد تم نقلك أولا إلى (كوم امبو) ، فى محـافظة (أسوان) ، وعليك ان تعد العدة للانتقال مع أسرتك إلى هناك ، قبل أن يصلك قرار الإحالة إلى التقاعد ، وانصحك الا تحاول العودة منها ، خشية أن يصدر قرار باعتقالك .. هل تفهم ؟

بكى الرجل اكثر ، وهو يقول :

ـ افهم يا (حسين) بك .. افهم .

قال (حسين) فى صرامة :

ـ حسنا .. والآن هيا .. انصرف .

انصرف المأمور منهـارا ، ودموعه تسيل فى حرارة ، فى حين شحب العمدة شحوبا شديدا ، وانكمش فى مقعده ، وهو يتابع ما حدث فى رعب ، إلى ان التفت إليـه (حسين) ، قائلا :

ـ هل توافقنى فيما فعلت يا عمدة ؟

احتبس صوت العمدة فى حلقه لحظات ، ثم غمغم فى صوت متحشرج :

ـ أنت صاحب الأمر يا (حسين) بك .

ابتسم (حسين) فى سخرية ، وقال :

ـ احقا يا عمدة ؟

خفت صوت العمدة ، وشحب وجهه أكثر ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا (حسين) بك .

مال (حسين) نحوه ، وساله :

ـ لمـاذا رفضت أن اتحدث من هاتفك إذن ؟

لم يجب العمدة ، وإن شف اتساع عينيه عن إدراكه ، ان الدور قد حان ، ليلعب هو دور الضـحية ، فى حين اعتدل (حسين) مستطردا :

ـ لقـد آلمنى ذلك كثيرا يا عمدة ، حتى اننى قررت ان احرمك من هذا الهاتف .

ارتجف قلب العمدة ، وهو يقول فى ذعر :

ـ تحرمنى منه ؟!

أومأ (حسين) برأسه إيجابا فى هدوء ، وقال :

ـ نعم يا عمدة .. سأنقله إلى دار رجل آخر .

ثم أردف ، وهو يبتسم فى شماتة :

ـ إلى دار (عبد الحميد) ، والد (فاطمة) ..

٣٩ ــ الانتقـال ..

حدق العمدة فى وجه (حسين) فى ذهول ورعب ..

إنه سينتزع منه الهاتف الحكومى ..

والهاتف الحكومى ، فى منزل العمدة ، هو هيبته وكرامته ، ورمز سطوته ، فى ريف (مصر) كله ..

ثم لمن سيمنح (حسين) الهاتف ؟..

لـ (عبد الحميد) ، العامل الأجير فى ارض (البنهاوى) !!..

وبكل الانفعال فى اعماقه ، هتف العمدة :

ــ لمن يا (حسين) بك ؟

اجابه (حسين) فى تشف :

ــ لـ (عبد الحميد) والد (فاطمة) ، زوجة أخى يا عمدة ..

هتف العمدة فى انهيار :

ــ ولكن منصب العمدة لم يخرج من عائلتى ، منذ مائتى عام او يزيد .

ابتسم (حسين) فى شماتة ، وهو يقول :

ــ وآن له ان يخرج يا عمدة .

كانت هذه هى الصدمة التى لا يحتملها العمدة ..

ولا اى عمدة ..

لقد انهار المسكين ، وهو يردد :

ــ ولكن لماذا يا (حسين) بك ؟.. لماذا ؟

هز (حسين) كتفيه ، وقال :

ــ إنها ضربة مزدوجة يا عمدة ، فانتخابات العمد ستحين بعد ايام ، ولو فاز (عبد الحميد) بالمنصب ، فسأكون قد رفعت من شأن زوجة اخى ، فبدلا من أن تكون ابنة عامل اجير ، ستصبح ابنة العمدة ، ويصبح من اللائق أن يتزوجها اخى ، وفى الوقت نفسه أضمن وجود هاتف حكومى ، إذا ما اتت ولادة مبكرة .

قالها ونهض مستطردا فى حزم :

ــ أعد الهاتف يا عمدة ، فسيتم نقله إلى دار العمدة الجديد بعد أيام .

انقبض صدر العمدة ، وراحت انفاسه تتلاحق فى الم ، وشعر بنيران تستعر فى صدره ، و (حسين) يقول :

ــ الوداع يا عمدة .

انتقل الالم إلى كتف العمدة ، وذراعه اليسرى ، وهو يغمغم :

ــ مستحيل !!

وعندما ابتعدت سيارة (حسين) ، وخلفها سيارتا الشرطة العسكرية ، كانت زوجة العمدة تصرخ ..

وكانت رائحة الموت تفوح فى المكان ..

* * *

« لقد قتلته .. »

هتف (مفيد) بالعبارة فى وجه شقيقه (حسين) ، الذى استقبل ثورته بصرامة ، وهو يقول :

ـ اهدأ يا (مفيد) .. لقد أصيب العمدة بأزمة قلبية أودت بحياته ، ولست مسئولا عن كل من يموت .

صاح (مفيد) :

ـ ولكنك أنت قتلته .. إنه لم يحتمل انتزاع السلطة منه .

أشاح (حسين) بوجهه ، وكأنه ينهى الحديث ، قائلا :

ـ لا أحد يبقى فى السلطة إلى الأبد .

أمسك (مفيد) ذراعه فى عنف ، وجذبه إليه ، هاتفا :

ـ من تظن نفسك ؟

التفت إليه (حسين) فى دهشة واستنكار ، ورمقه بنظرة صارمة قاسية ، إلا أن هذا لم يمنع (مفيد) من أن يستطرد فى غضب :

ـ هل تصورت نفسك إلها ، تمنح وتمنع ؟.. ما الذى تبتغى الوصول إليه ؟..

لقد أفسدتك السلطة تماما .. حطمت آدميتك .

صاح به (حسين) :

ـ كيف تجرؤ على قول هـذا ؟.. ألم يقتل هـذا العمدة والدنا ، عندما نقل إليـه فى شـماته خبر مصادرة الأراضى الزراعيـة ؟.. ألم يشترك مع المأمور فى إلقائك فى السجن بتهمة ملفقة .

صرخ (مفيد) :

ومن أنت حتى تمنح نفسـك حق القصـاص ؟.. إنك بشر يا (حسين) .. بشر .. ولا تحاول أبدا أن تصبح إلها .

صاح به (حسين) فى غضب :

ـ اسمع يا (مفيد) .. لقد عدت إلى السراى ؛ لتناول طعام الغذاء ، ثم انصرف ، ولن أسمح لك بإفساد شهيتى .

تبادل الاثنان نظرات صارمة غاضـبة ، ثم قال (مفيد) فى حدة :

ـ فليكن يا (حسين) .. افعل ما بدا لك ، ما دمت تجد متعتك فى لعبة السلطة الحقيرة هذه ، أما أنا فسأحيا حياتى كما أشاء .. سأتزوج (مديحة) ، و ...

قاطعه (حسين) فى غضب هادر :

ـ هل جننت ؟ .. إننى لن أسمح لك أبدا بالزواج من ابنة عامل أجير .

ـ ولكنك سمحت لـ (حافظ) بذلك .

ـ كانت الظروف تختلف .

ـ وهذا لن يمنعنى من الزواج ، من الفتاة التى أحبها .

ـ كف عن تهورك وعنادك يا (مفيد) .. إننى الآن فى موقع الصدارة ، ويمكننى أن أزوجك ابنة وزير ، وأن أمنح (شريفة) زوجا تحلم به أية فتاة فى (مصر) كلها .

ـ لو ظل الأمـر على ما هو عليه ، فلن تتزوج (شريفة) أبدا .

ـ وهل يعنى ذلك أن تتزوج أنت ابنة عامل حقير ؟

تراجع (مفيد) ، وتطلع إلى شقيقه فى تحد ، قائلا :

ـ هذا هو الشىء الوحيد ، الذى لا يمكنك الحيلولة بينى وبينه

يا نصف الإله .. إننى فى الحادية والعشرين من عمرى الآن ، وسأتزوج (مديحة) شئت هـذا ام ابيت ، ولتنعم وحـدك باموال ابى ، فلست أريد منها شيئا .

قالها واندفع خارج المكان فى ثورة ، وانقبض قلب (شريفة) ، التى تستمع إلى الحـوار منـذ بدايته ، وخرجت من حيث تختبىء ، وربتت على كتف (حسين) ، وهى تقول :

— لا تجعل عناد هذا الأخرق يفسد شهيتك يا (حسين) .

قال فى غضب :

— إنه غبى .

ربتت على كتفه مرة أخرى ، دون أن تضيف كلمة واحدة ، فأزاح يدها فى حنق ، ثم جلس ، وضم كفيه أمام وجهه ، وبدا أنه قد استغرق فى تفكير عميق ، فسألته فى تردد :

— هل أعد الطعام الآن ؟

التفت إليها فى شرود ، ثم تألقت عينـاه بغته ، وهب من مقعده ، وهو يهتف :

— لا .. ليس الآن .

ثم أسرع إلى حيث يقف أحد جنود الشرطة العسكرية ، وألقى على أذنه بعض أوامره ، فى صوت خافت ، انتهاه بأن أضاف فى صوت مرتفع بعض الشىء :

— انقلهما إلى مكتبى فى (القاهرة) على الفور .. هل تفهم ؟

أدى الجندى التحية العسكرية فى قوة ، وقال :

— كما تأمر يا سيدى .

سألته (شريفة) فى قلق :

— بم أمرته ؟

ابتسم فى ظفر ، وهو يقول :

— بما سيحل المشكلة كلها .

ثم التقط قبعته الرسمية ، وأسرع إلى الخارج ، فلحقت به هاتفه :

— إلى أين ؟.. ألن تتناول طعام الغذاء ؟

أجابها وهو يقفز داخل سيارته ، ويدير محركها :

— سأتناوله فى مكتبى فى (القاهرة) .

وابتعد بالسيارة ، وخلفه واحـدة من سيارتى الشرطة العسكرية ، تاركا (شريفة) خلفه ، وهى تتساءل : عمـا يخفيه القدر ..

وترتجف ..

* * *

لم تشعر (مديحة) ، فى حياتها كلهـا بالخوف ، مثلمـا شعرت به فى تلك اللحظة ، وهى تقف مع والدها ، بين صفين من جنـود الشرطة العسـكرية ، داخل ممـر مبنى حديث التشييد ، فى قلب (القاهرة) ..

لقد انتزعها الجنود مع والدها ، من دارهما الصغيرة ، ونقلوهما إلى تلك السيارة ، التى نقلتهما إلى (القاهرة) ، دون أن يسمحوا لهما بمجرد السؤال ...

وكان الرعب يملأ نفسها ونفس والدها ، مع مزيج من الحيرة والتشاؤم ..

ولم تنجح هى ابدا فى استنتاج سبب ما يحدث ، وإن لم يبد لها الأمر خيرا ، حتى قادها احد الجنود مع والدها إلى حجرة واسعة ، فاخرة الاثاث ، يتصدرها مكتب فاخر كبير ، لم تكد تلمح وجه الجالس خلفه ، حتى هتفت :

ـ (حسين) بك ؟!

كان المفروض أن ينتزع منها وجوده قلقها ، إلا أن شيئا ما فى اعماقها ضاعف هذا القلق ، وحوله إلى خوف وارتياع ، فى حين شف صوت والدها عن فرحة الخلاص ، وهو يتقدم نحو مكتب (حسين) ، صائحا :

ـ (حسين) بك ؟!.. حمدا لله .. لقد تصورنا أن ..

أوقفه جندى الشرطة العسكرية ، وهو يقول فى صرامة :

ـ قف يا رجل ، وإلا اطلقت عليك النار .

تجمد (إسماعيل) فى مكانه ، وتطلع إلى (حسين) فى حيرة ، وادهشه حقا تلك الابتسامة المزهوة ، التى ارتسمت على وجه هذا الأخير ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه نحوه ، ثم يتطلع إلى عينيه مباشرة ، ويقول :

ـ لماذا تعادى الثورة يا عم (إسماعيل) ؟

انتفضت كل خلية فى جسد الرجل ..

جفت كل قطرة دم فى عروقه ..

وبكل الرعب ، راح يحدق فى وجه (حسين) ، وقد اختنقت الكلمات فى حلقة وعلى لسانه ، فى حين تراجعت (مديحة) كالمصعوقة ، وهتفت :

ـ يعادى الثورة ؟!.. ماذا تقول يا (حسين) بك ؟

التفت إليها (حسين) ، وملامحه تحمل كل الغلظة والقسوة ، وقال :

ـ اقول إن امامى قائمة ، تحمل اسم ابيك ، ضمن اسماء اعداء الثورة ، المطلوب اعتقالهم ، وإلقاؤهم فى السجون ، وانتزاع الاعترافات منهم بالقوة ، قبل محاكمتهم ، و ...

وادار عينيه إلى (إسماعيل) ، مستطردا فى صرامة :

ـ وإعدامهم .

جحظت عينا الرجل فى رعب هائل ، وخيل إليه ان قدميه تعجزان عن حمله ، فترنح فى قوة ، وكاد يسقط ارضا ، لولا ان اسرعت (مديحة) تسنده بذراعيها ، وهى تهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل !.. انت تعرف ابى منذ مولدك يا (حسين) بك ، وتعلم انه لا شأن له قط بالسياسة او السياسة ، ثم إنه كان من أسعد اهل الأرض بقيام الثورة ، فكيف يعاديها ؟ وكيف ..؟

زمجر (حسين) فى صرامة ، وهتف :

ـ لا اريد مناقشة .

ثم صاح بالجندى :

ـ خذه إلى المعتقل .

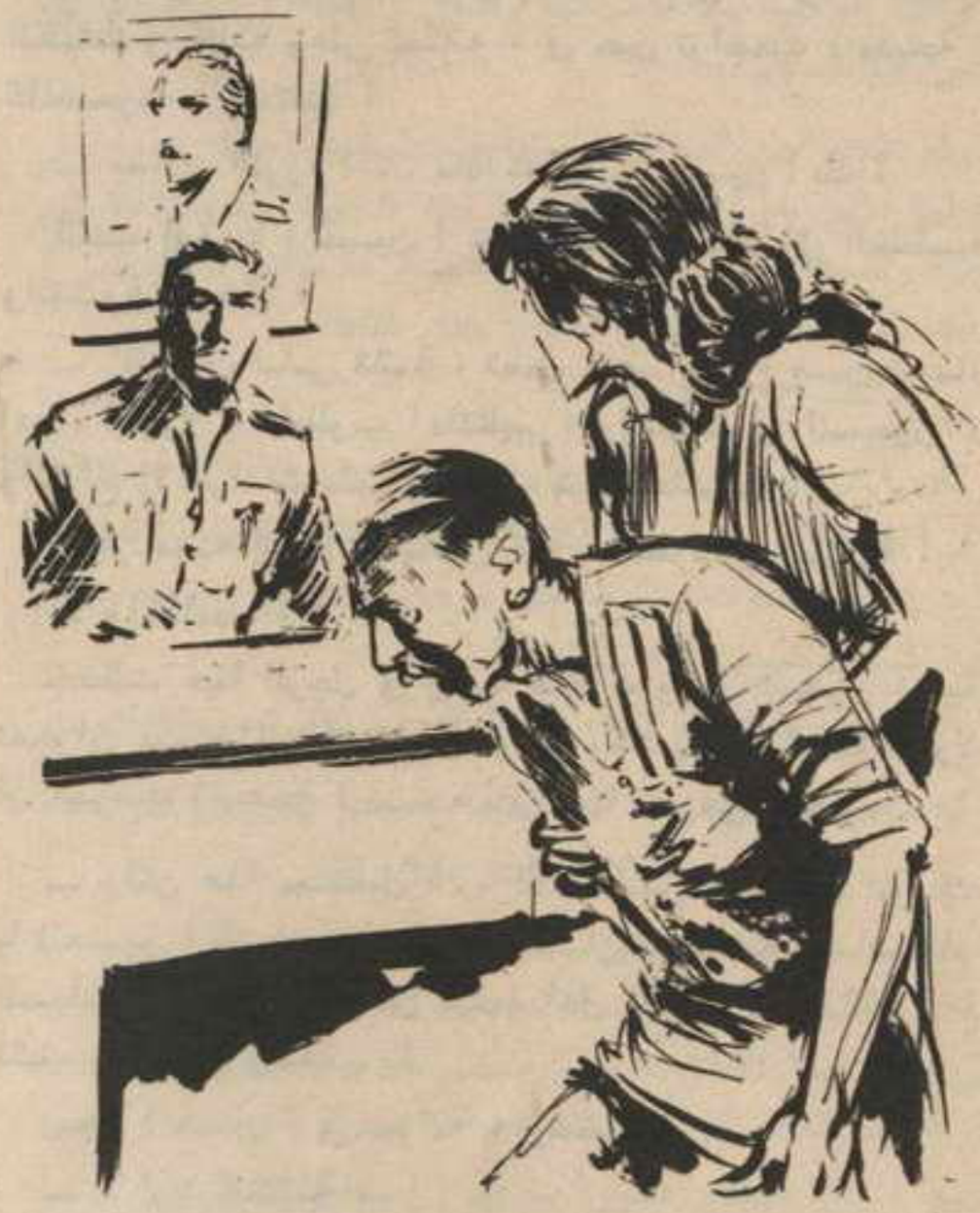

لم يكد الجندى يطبق يده على (إسماعيل) ، حتى انهار المسكين تماما ، وصرخ :

ـ الرحمة !! الرحمة !

وهنا ابتسم (حسين) فى ظفر ، واشار إلى الجنـــدى ، قائلا :

ـ انتظر .

تراخت قبضة الجندى ، وانفجر (إسماعيل) باكيـــا ، فى مشهد انفطر له قلب ابنته ، ففاضت الدمـــوع من عينيهـــا بدورها ، وهى تقول :

ـ لمـــاذا تفعل بنا هذا ؟.. لمـــاذا ؟

أجاب (حسين) فى قسوة وصرامة :

ـ هناك بديل واحد لاعتقاله .

سألته فى لهفة :

ـ ما هو ؟

اجابها فى حزم :

ـ أن تغادر اسرتكم كلها القرية ، ولا تعود إليها ابدا .

لحظتها فقط ادركت المغزى وراء كل هذا ..

لحظتها فقط فهمت اللعبة ..

ولدقائق ، راحت تتطلع فى الم ومرارة إلى عينى (حسين) ، وبدا لها انها تقرأ فيهما هدفه ..

إنه يمنعها من الزواج من (مفيد) ..

ينتزع حبها من قلبها انتزاعا ..

يا للسقوة !!

يا للعار ..!!..

ولكن نظرة واحدة لأبيها المنهار الشاحب الباكى ، كانت تكفى لتحسم رايها ، وتخفض عينيها ، متمتمة فى حزن الدنيا كلها :

— سنفعل .. سنفعل يا (حسين) بك .

تالقت عيناه ببريق ظافر ، وهو يقول :

— بقى أمر واحد .

سالته فى ذل وانكسار :

— ما هو ؟!

كاد قلبها يقفز من بين ضلوعها ، أو يتوقف عن الخفقان فى صدرها ، عندما اجاب فى قسوة صارمة :

— أن تتزوجى من احد ابناء عمومتك .. الليلة ..

وهوى قلبها ذبيحا ..

* * *

٤٠ ـ النهاية ..

شرد (مفيد) بافكاره طويلا ، وهو يجلس عند الشجرة القديمة ، ويرتكن بظهره إلى جذعها الكبير ..

كان يفكر فى (مديحة) ..

فى حبهما .. وعشقهما ..

ويفكر فى (مصر) ..

إن قلبه يمتلىء بالخوف ، منذ راى ما يفعله شقيقه باسم الثورة ..

بل ما تفعله الثورة بنفسها ..

اى مستقبل ينتظر هذا البلد ؟..

اى مصير ؟..

أرخى راسه مستندا إلى الجذع ، وترك ذكرياته تسبح مع أيام حبه لـ (مديحة) ، حتى وجد نفسه يهتف :

— سأتزوجها .. سأتزوجها مهما كان الثمن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى لاح له ظل انثوى يعدو نحوه من بعيد ، فهتف وقلبه يخفق فى قلق مبهم ، لم يدر لحظتها مغزاه :

— (مديحة) ؟!..

ولكن لا .. إن صاحبة الظل اكبر حجما ..

إنها لا تحمل رقة (مديحة) وحنانها ..

وفجأة اتضحت الصورة ، ووجد نفسه يهتف فى دهشة بالغة ، وقد تضاعف القلق فى أعماقه اضعافا :

ـ (فاطمة) ؟!.. ماذا حدث ؟

نهض يستقبلها وهى تلهث فى شدة ، وتهتف به فى انفعال :

ـ (مديحة) يا (مفيد) .. (مديحة) .

انتفض قلبه بين ضلوعه ، وبدا له صوتها الأجش اشبه بنعيق البوم ، وهو يمسك كتفيها فى قوة ، ويهتف بها :

ـ ماذا اصابها ؟.. انطقى .. ماذا حدث ؟

حاول ان تلتقط انفاسها ، وهى تقول فى انفعال :

ـ لقد عادت سيارة من سيارات الجيش ، وحملت أمها واشقاءها ، ورحل الجميع من القرية ، تحت حراسة مشددة .

صرخ بكل الفزع واللوعة فى اعماقه :

ـ متى ؟.. وكيف ؟.. وماذا فعلوا بـ (مديحة) ؟

أجابت لاهثة :

ـ لقد اخذوا (مديحة) وعم (إسماعيل) منذ الظهر ، ثم عادوا لإلقاء القبض على الآخرين فى المساء .

صرخ :

ـ عند الظهر ؟!.. ولماذا لم يخبرنى احد ؟.. لماذا ؟

أجابته بصوتها الأجش :

ـ انت تجلس هنا منعزلا ، منذ شجارك مع (حسين) ، ولقد خشيت إبلاغك لحظتها ، و ...

لم ينتظر ليسمع حديثها ، بل دفعها بعيدا ، وراح يعدو نحو دار (إسماعيل) ، ولم يكد يبلغها حتى صرخ فى لوعة ..

كان كل شىء محطما منهارا ، وكأنما دكته قدم عملاقة ..

وكان المكان خاليا ..

لم يلتفت حتى اهل القرية حوله ، كما يحدث عادة ، وكأنما بات الجميع يخشون مجرد الوقوف فى مكان وطئته قدم البطش ..

وبكل لوعته صرخ :

ـ (مديحة) .

ثم عاد يعدو نحو السراى ..

إنه يعلم من فعل بها هذا ..

يعلمه .. ولن يغفر له ابدا ..

ولم يكد يقتحم السراى ، حتى رآه امامه ..

راى (حسين) يجلس هادئا مبتسما ، ويتطلع إليه فى ظفر واضح ..

وبكل الغضب والثورة ، انقض عليه ، وصرخ :

ـ ماذا فعلت بـ (مديحة) ؟

قبل أن يبلغه ، فوجىء بجنديين يكبلان ذراعيه ، ويمنعانه من الانقضاض على شقيقه الاكبر ، وسمع هذا الأخير يقول فى صرامة :

ـ اهدأ أيها الغبى... لقد أنقذتك من نفسك .

راح (مفيد) يقاوم الجنديين فى استماتة ، وهو يصرخ :

ـ لست إلهـا يا (حسـين) .. إنك لا تملك الحق فى تصريف الأمور كما تشاء .. أعد إلى (مديحة) .. أعد لى من أحب .

عقد (حسين) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـ لم تعد هناك فائدة .

ثم أردف فى قسوة حازمة :

ـ لقد تزوجت (مديحة) .

هبط الجزء الأخير على (مفيد) هبوط الصاعقة ، فتزلزل له كيانه ، وارتجف له قلبه ، وانهارت أعماقه وهو يتمتم :

ـ تزوجت ؟

وفى عينيه تجمعت قطرة دمع ، حملت كل مرارته وعذابه وألمـه ، وتراخت عضـلاته ، وانهارت مقاومته تمـاما ، و (حسين) ينهض قائلا فى صرامة :

ـ انسها تماما .. لقد تزوجت ابن عمها ، ورحلت ، ولن تعود إلى القرية أبدا .

ترك الجنديان (مفيد) ، الذى انهار مع قلبه ، وسقط على أقـرب مقعـد إليه ، وشقيقه يغـادر السراى ، وخلفه الجنديان ..

كيف ؟..

كيف خسر (مديحة) ؟..

لم يكن يصدق ..

من المستحيل أن يفعل ..

وتناهى إلى مسامعه صوت محرك سيارة (حسين) تبتعد ، معلنة نهاية قصة حبه ، وبداية عهد جديد .

عهد بلا حب .

وبكل الثورة فى أعماقه ، صرخ (مفيد) :

ـ لا يا (مديحة) .. لا .. لا ..

ولكن صرخته ضاعت فى فراغ هائل ..

وتلاشت وسط ظلام طويل ...

وليل بلا أمل ..

[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

انتقام (قصة قصيرة)

« أيمكننى شراء هذه السيارة القديمة ؟ .. »

رفعت العجوز عينيها فى بطء ، تتطلع إلى صاحب السؤال ، الذى بدا لها ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، حاد الملامح ، فملأت عينيها بوجهه طويلا ، ثم نقلت بصرها إلى نموذج السيارة الكبير ، الذى انتشر الصدأ فى أطرافه ، وبدا زرى الهيئة ، حتى أن أحدا من رواد متجر لعب الأطفال ، الذى تملكه ، لم يعد يلتفت إليه بتاتا ، بل إن البعض يخشون لمسه ، لكثرة الأتربة التى تغطى كل ركن فيه ، وكأنما تتعمد العجوز إهماله على هذا النحو ..

وفى هدوء ، أعادت العجوز عينيها إلى الرجل ، وقالت :

ـ إنها غالية الثمن .

ابتسم الرجل ابتسامة لم ترق لها ، وهو يقول :

ـ ولكنها تروق لى :

غمغمت العجوز :

ـ حقا ؟!

عادت تتطلع إلى النموذج القديم لحظة ، ثم أضافت :

ـ إنها تساوى مائتى جنيه .

رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

ـ يا إلهى !.. إنها غالية الثمن جدا .

أشاحت بوجهها ، وقالت فى صرامة :

ـ هذا ثمنها .

صمت الرجل لحظات ، وهو يتطلع إلى النموذج القديم فى اهتمام ..

كان نموذجا من الصفيح المطلى ، لسيارة من طراز (المرسيدس) ، يعود تاريخ السيارة الأصلية ، التى صنع النموذج على شاكلتها ، إلى عام ١٩٠٣ م ، ولقد برع صانع النموذج فى صنعه ، فبدا شديد الإتقان والوضوح ، لولا الصدأ والأتربة ..

وقال الرجل مستنكرا :

ـ إنه نموذج قديم ، و ...

زمجرت العجوز ، وقالت فى شراسة :

ـ لست اقبل مساومة .

ساد بينهما الصمت لحظات أخرى ، ثم قال الرجل مستسلما :

ـ حسنا .. هل يمكننى فحص النموذج ؟

سألته فى خشونة :

ـ هل ستشتريه ؟

قال مستسلما :

ـ نعم .. سأشتريه .

مدت يدها إليه ، قائلة :

ـ ادفع ثمنه أولا إذن .

زفر فى استسلام ، وأخرج حافظة نقوده ، ونقدها الثمن الذى طلبته ، فتألقت عيناهـا على نحـو عجيب ، وعادت تتطلع إلى وجه الرجل طويلا ، ثم نهضت ، قائلة :

ـ تعال .. سأسمح لك بفحصه فى المخزن .

حملت النموذج القديم إلى المخزن ، الملحق بالمتجر ، وتبعها الرجل فى تردد ، حتى وضعت النموذج فى ركن المخزن ، فاتجه إليه فى لهفة ، وقال :

ـ ما كل هذه الأتربة ؟.. إنه يبدو كما لو أن أحدا لم ينظفه منذ عام كامل .

غمغمت :

ـ بل منذ سبعة أشهر بالتحديد .

لم يهتم بجوابها ، وهو يمسح الأتربة عن النموذج فى لهفة ، ثم راح يفحصه فى شغف شديد ، حتى سمع صـوت العجوز من خلفه تقول :

ـ لن تجد ما تبحث عنه .

التفت إليها فى سرعة ، ثم شهق فى ذعر ، وتراجع فى عنف ، عندما رآها تصوب إليه مسدسا ، وهتف :

ـ ما هذا يا سيدتى ؟

قالت فى بغض شديد :

ـ لقد كشفت نفسك .

قال ملتاعا :

ـ كشفت نفسى ؟!.. ماذا تعنين يا سيدتى ؟

أطلقت ضحكة شرسة ، وقالت :

ـ لا تحاول .. أنت تعلم ما فعلته بابنى .

لوح بكفيه ، وهو يقول :

ـ ابنك ؟!.. أقسـك لك إننى لا أعـرف ابنك هـذا يا سيدتى ، وإننى ..

صرخت به :

ـ اخرس .

ابتلع رعبه مع كلماته ، وهو يحدق فى وجهها ، وفى المسدس المصوب إليه ، وهى تتابع فى حدة :

ـ كنت أعلم أن القاتل سيوقع بنفسه .. لقد بدأت أحوال ابنى تضـطرب منذ ثمانية شـهور ، ولكننى لم أدرك حقيقة ما أصابه ، إلا بعد فوات الأوان .. كنت واثقة من أنه يأتى عملا غير مشروع .. كل شىء فيه كان يؤكد ذلك .. النظـرات الزائغة .. الشحوب .. نقص الوزن .. كل هذا كان يقلقنى ويعذبنى ، حتى كان ذلك اليوم المشئوم .

اتسعت عيناها ، وبدا صوتها وحشيا مخيفا ، وهى تستطرد :

ـ عاد من الخارج يرتجف ، واخبرنى انه واقع فى مازق خطير ، واخرج من جيبه لفافة بيضاء تحوى ذلك المسحوق القاتل اللعين .. الهيروين .. وبكل رعبه ، وامام عينى المذعورتين ، اتصل بشخص ما ، واخبره انه سيخفى المخدر فى نموذج السيارة القديم ، قبل ان تداهمه الشرطة .

ترقرق الدمع فى عينيها ، واضافت :

ـ انهى المحادثة ، واخبرنى ان ذلك الشخص ، الذى تحدث إليه ، لن يتردد عن قتله ، لاستعادة ذلك المسحوق الملعون ، واسرع يضعه فى النموذج ، ثم غادر المتجر مذعورا مرعوبا .

مسحت دموعها فى مرارة ، وقالت فى الم :

ـ ولم اره منذ ذلك الحين .. منذ سبعة اشهر كاملة .

شحب وجه الرجل فى شدة ، وقال :

ـ سيدتى .. اقسم لك إننى ..

قاطعته فى صرامة مخيفة :

ـ ادركت على الفور ان ذلك الشخص المجهول قد قتله .. قتل ابنى الوحيد ، فلو انه على قيد الحياة ما تركنى اتعذب لفراقه هكذا .. كان سيتصل هاتفيا على الاقل .. وكنت اعلم ان قاتله سيسعى حتما لاسترداد المسحوق ، من النموذج القديم .

وفى بغض تابعت :

ـ ولقد اعدمت ذلك المسحوق ، الذى تسبب فى قتل ابنى ، وتركت النموذج بلا عناية او رعاية ، ووضعت ثمنا كبيرا له ،

وكنت اعلم ان الشخص الوحيد ، الذى يمكنه ان يقبل دفع ثمن كهذا ، فى نموذج قديم متهالك ، هو إما مجنون ، او قاتل ابنى ، يسعى خلف المسحوق .

بكى الرجل فى مرارة ، وهو يقول :

ـ لا هذا ولا ذاك يا سيدتى .. إننى رجل اعشق جمع نماذج السيارات القديمة ، وهذا النموذج نادر ، يمكننى تنظيفه وطلاؤه ، و ...

قاطعته ثائرة :

ـ كاذب .. ما كنت لتدفع كل هذا المبلغ من اجله .

هتف منهارا :

ـ إنه يساوى اكثر .. صدقينى .. انا اعلم هذا ، بصفتى هاويا لجمع نماذج السيارات .. إنه يساوى على الاقل ثلثمائة جنـ ...

قاطعته مرة اخرى ، وهى ترفع مسدسها فى وجهه :

ـ كاذب .. كاذب .

رآها تجذب إبرة المسدس ، فاتسعت عيناه فى رعب ، وصرخ :

ـ لا يا سيدتى .. لا ..

واطلقت هى النار ..

وسقط الرجل وسط مخزن لعب الاطفال ، والدماء تنزف من ثقب فى منتصف صدره ..

وفى ارتياح ، غمغمت العجوز ، وهى تلقى المسدس إلى جوار جثة الرجل .

ـ نال ما يستحق .

ثم ربتت على النموذج القديم فى حنان ، وغادرت المخزن إلى المتجر ..

واتسعت عيناها فى ذهول ..

لقد رأته أمامها ..

على الرغم من هزاله وشحوبه عرفته على الفور ..

وبكل لهفته ، احتواها بين ذراعيه ، هاتفا :

ـ أمى .. كم أوحشتنى .. سبعة أشهر لم أرك .

حدقت فيه فى ذهول ، وهتفت :

ـ أنت ؟!.. إذن فأنت لم تمت !!

قال فى دهشة :

ـ لا .. أنا على قيد الحياة يا أمى ، ولكننى خشيت العودة طيلة الأشهر السبعة الماضية ، وخشيت حتى الاتصال بك هاتفيا .. لقد انتهى الأمر فى سلام يا أمى .. سأعدم المسحوق .. لقد شفيت من ذلك الإدمان اللعين ، وأبلغت الشرطة عن شريكى ، وألقوا القبض عليه منذ يومين .. لقد نجوت يا أمى .

رددت ذاهلة :

ـ نجوت .

ثم انفجرت باكية ، وهى تستطرد :

ـ لماذا لم تصل قبل هذا ؟.. لماذا وصلت بعد فوات الأوان ؟!

تراجع مغمغما فى قلق :

ـ بعد فوات الأوان ؟.. ماذا تعنين يا أمى ؟.. ماذا تعنين ؟

رأته يحدق فجأة فى نقطة ما خلف ظهرها ، وعيناه تحملان مزيجا من الرعب والدهشة ، جعلها تلتفت إلى حيث ينظر بدورها ، قبل أن تتراجع مذعورة ..

لقد رأت الرجل أمامها ، وهو يترنح ، ممسكا بصدره ، الذى ينزف فى غزارة ، وفى قبضته الأخرى مسدسها ، الذى القته إلى جواره ، وسمعته يقول فى بغض :

ـ أيتها العجوز اللعينة !

رفع مسدسه نحوها ، فصرخ ابنها :

ـ لا .. ليس أمى ..

حدث كل شىء بسرعة بعدها ..

ازاحها ابنها بعيدا ..

انطلقت الرصاصة ..

سمعت ابنها يصرخ فى الم ..

ثم سقط الاثنان ..

سقط الرجل ، وسقط ابنها ..

واطلقت العجوز صرخة هائلة :

ـ ابنى .. لا .. لا يا ابنى .

والقت نفسها على جثة ابنها ، وراحت تصرخ بلا انقطاع ..

لقد تم الانتقام ..

انتقام القدر ..

---

١ ــ زيـارة ..

تنهد الدكتور (حامد شـــوقى) فى ارتيـــاح ، وهو يلتقط بأصبعه كرة سوداء صغيرة ، ذات سطح شديد اللمعان ، وابتسم وهو يرفعهـــا امام وجهـــه ، قائلا لزميله الدكتور (اشرف) .

ــ هل يمكنك ان تصدق هذا ؟

التقط زميله الدكتور (اشرف) تلك الكرة اللامعة فى حرص بالغ ، وبدا شديد الانبهار ، وهو يقول :

ــ إنه نصر علمى بكل المقاييس .

ــ قال (حامد) فى سعادة :

ــ وباقل تكلفة .

ثم مد يده إلى سطح المكتب ، على ارتفاع نصف المتـــر تقريبا ، وترك الكرة ..

وعلى الرغم من معرفة (اشرف) ، وإدراكه لما سيحدث ، إلا انه لم يملك نفســه من ان يطلق شهقة قصيرة ، عندما بقيت الكرة معلقة فى الهواء ، وكأنهـــا تتحدى قانون الجـــاذبية الأرضية ..

بل لقد كانت تتحداه بالفعل، فهذه الكرة السوداء اللامعة ، كانت هى أول صـــورة أرضية معروفة لمضـــادات الجاذبية الأرضية ..

وبكل انبهاره ، قال (أشرف) :

ــ من كان يتصور هـــذا ؟.. من كان يصدق أن تحرز (مصر) ذلك النصر العلمى ، الذى يعد حلما من احلام العلماء ، منذ نبتت فكرة السفر إلى الفضاء فى العقول ..

تطلع (حامد) إلى الكرة ، التى راحت تدور حول نفسها فى بطء ، وتعكس اضواء المعمل فى شكل رائع ، وبدا شاردا لحظات ، ثم قال :

ــ أتعلم ما الذى يمكن ان يفعله هـــذا الكشف العلمى يا (أشرف) ؟.. إنه سيفتح أمامنـــا مجالات هائلة ، وآفاقا واسعة فى علم السفر إلى الفضاء .. تصور مكوكا فضائيا يتم صنعه بهذه المـــادة ، بحيث يمكنه عبور الغلاف الجوى بأقل طاقة ممـــكنة .. بل تخيل صـــواريخ هائلة ، تحمل مستعمرات كاملة ، وتعبر مجال الأرض فى يسر ، لتبنى مدنا فضائية ، و ...

قاطعه الدكتور (أشرف) مبهورا :

ــ أمر رائع .. رائع بحق !

ثم سأله فى لهفة :

ــ متى تنوى إعلان ذلك الكشف الرائع ؟

صمت (حامد) لحظات مفكرا ، ثم قال :

ــ اظن ان افضل مناسبة لذلك هى مؤتمر أبحاث الفضاء ، الذى سيقام فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أسبوعين .

هتف (أشرف) :

ـ ستكون قنبلة المؤتمر .

ثم انخفض صوته ، وهو يسأله :

ـ قل لى : هل أخبرت مدير المركز بكشفك هذا ؟

ابتسم (حامد) ، وهز رأسه ، قائلا :

ـ لا أحد يعلم بأمر هذه الأبحاث سواى أنا وأنت ، منذ بدايتها .

سأله فى دهشة :

ـ الهذا طالبتنى بكتمان السر تماما ؟..

أومأ (حامد) برأسه إيجابا ، فعاد (أشرف) يسأله فى حيرة :

ـ ولكن كيف كنت تحصل على المواد اللازمة ؟

ضحك (حامد) ، وقال :

ـ أوهمتهم بأننى أقوم بأبحاث حول مادة تمنع صدأ المعادن إلى الأبد .

هتف (أشرف) :

ـ فقط ؟!

ثم انفجر ضاحكا ، وهو يستطرد :

ـ يا لك من مخادع !

ابتسم (حامد) ابتسامة شاردة ، وقال :

ـ دعك من هذا الآن ، وأخبرنى .

وعاد يلتقط الكرة اللامعة بين أبصابعه فى حذر ، مستطردا :

ـ ما الذى يخفيه لنا هذا الكشف فى المستقبل ؟

وبدا الجواب غامضا ..

ومثيرا ..

***

استوقف رجل الأمن ، عند بوابه المركز القومى للبحوث ، ذلك الشاب النحيل ، الذى بدا حائرا متوترا ، وهو يتقدم نحو البوابة ، وسأله فى حزم :

ـ إلى أين يا سيدى ؟

تطلع إليه الشاب لحظات فى صمت أشبه بالحيرة ، قبل أن يلتقط أنفاسه فى صوت مسموع ، ويعتدل قائلا :

ـ أريد مقابلة الدكتور (حامد شوقى) .

نطقها الشاب بلهجة مهذبة للغاية ، إلا أن شيئا ما فى لغته أو أسلوبه لم يرق لحارس الأمن ، الذى رمقه بنظرة شك طويلة ، وهو يفحصه كله ببصره فى ريبة ..

كانت ملامح الشاب تبدو عادية ، مع قليل من الشحوب ، وملابسه تبدو جديدة للغاية ، كما لو أنه قد ابتاعها على التو ..

حتى حذاؤه كان لامعا أنيقا مصقولا ، لا يحمل سطحه ذرة واحدة من الأتربة ، التى تتطاير فى العاصمة عادة ..

وبكل شكه وريبته ، قال حارس الأمن :

ـ الديك موعد سابق معه ؟

أجابه الشاب فى سرعة :

ـ لدى تصريح خاص بمقابلته .

قالها واخرج ورقة صغيرة ، ناولهـا إلى حارس الأمن ، الذى عقد حاجبيه فى قلق لم يدر مصدره ، وهو يتطلع إليها ..

كانت تصريحـا بمقابلة الدكتور (حامد شوقى) ، داخل مركز البحوث ، والتصريح يحمل توقيع وزير البحث العلمى فى وضوح ..

ولكن حارس الأمن لم يشعر بارتياح ..

ملمس الورقة لم يرق له ..

وكذلك نظافتها البالغة ..

وفى حزم ، قال حارس الأمن :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكننا سنتصل أولا بمكتب السيد وزير البحث العلمى ، و ...

لم يكن بحاجة إلى إتمام عبارته ، فقد ارتسم الذعر على وجه الشـاب ، وبدا شـديد التوتر والعصبية ، وهتف فى حـدة :

ـ لا تحاول تعطيل مهمتى .. سأقابل الدكتور (حامد) ، سواء شئت أم ابيت .

عقد الحارس حاجبيه فى حزم وقال :

ـ معذرة يا سيدى ولكن نظام الأمن هنا يحتم أن ..

قبل أن يتم عبارته ، هوى الشاب على فكه بلكمة قوية ، لا تتناسب مع جسده النحيل ، ثم قفز يعبر البوابة ، ويندفع إلى الداخل ، فى حين سقط حارس الأمن ارضا ، ثم اعتدل صارخا :

ـ أوقفوه .. أوقفوا هذا الشاب .

حاول البعض اعتراض طـريق الشـاب ، إلا أنه راوغ معترضيه فى مهـارة ، وانطلق يعبر ممرات مركز البحوث ، متجها نحو معمل الدكتور (حامد) ، وكأنه يعـرف طريقه جيدا ، وهو يهتف :

ـ ابتعدوا .. لا تجبرونى على مقاتلتكم .

ولكن رجال الأمن طاردوه فى إصرار ، وصاح به أحدهم ، وهو يخرج مسدسه :

ــ قف وإلا أطلقنا النار .

استدار إليه الشاب فى سرعة ، وأخرج من جيبه شيئا يشبه كرة من الثلج الأبيض ، القاه نحو رجال الأمن ، فانفجر بصوت مكتوم ، وتصاعدت منه أبخرة كثيفة ، فصاح أحدهم :

ــ أطلقوا النار .

تالها وأطلق رصاصتين من مسدسه عبر سحب الدخان ، وتناهى إلى مسامع الجميع صوت آهة الم خافتة ، فصرخ رئيس الأمن :

ــ لا .. لا تطلقوا النار .. قد نصيب أحد علماء المركز .

بلغ دوى الرصاصتين معمل الدكتور (حامد) فالتفت إلى الباب ، وهو يقول فى قلق :

ــ ماذا حدث ؟

أجابه (أشرف) ، وهو لا يقل عنه قلقا :

ــ لست أدرى !.. إنها أول مرة يحدث فيها هذا هنا .

اتجه نحو الباب ؛ لا ستطلاع الأمر ، و ..

وفجأة اقتحم الشاب الحجرة ، وهو يمسك صدره فى الم ، والدماء تنزف منه فى غزارة ، وبدت عيناه زائغتين ، مما أصاب (أشرف) بالذعر ، فهتف :

ــ ما هذا ؟.. من أنت ؟

ولكن الشاب تجاهله تماما ، واتجه مترنحا إلى الدكتور (حامد) ، وتشبث به ، هاتفا فى وهن :

ــ دمر تلك الكرة السوداء اللعينة .. لا تذهب إلى المؤتمر الأمريكى .. صدقنى هذا أفضل للجميع .

اتسعت عينا الدكتور (حامد) فى ذهول ، وسأله :

ــ ولكن كيف ؟.. كيف علمت بكل هذا ؟.. إننا ..

قبل أن يتم عبارته اقتحم رجال الأمن المعمل ، وصاح أحدهم :

ــ القوا القبض عليه ..

استدار إليهم الشاب فى سرعة ، على الرغم من اصابته ، وأسرعت يده نحو جيب قميصه ، ولكن أحد رجال الأمن صرخ :

ــ احترسوا .. سيلقى قنبلة أخرى .

وبسرعة أطلق رجل أمن رصاصة نحو الشاب ..

وأمام أعين الجميع ، جحظت عينا الشاب فى ألم ، ثم سقط جثة هامدة ..

وساد الصمت التام المكان ..

ووحده راح الدكتور (حامد) يحدق فى جثة الشاب فى ذهول ، حتى أسرع إليه الدكتور (أشرف) ، وسأله :

ــ أأنت بخير ؟

بدا وكأن الدكتور (حامد) لم يسمع السؤال أبدا ، فقد ردد فى ذهول تام :

ــ كيف عرف ؟.. كيف عرف ؟..

وبقى السؤال بلا جواب ..

* * *

٢ ــ الغمــوض ..

هز (اشرف) راسه ، وهو يلقى صحيفة الصباح جانبا ، ويقول :

ــ ارايت ما كتبته الصحف عن الحــادث ؟.. سطرين فحسب فى صفحة الحوادث :

« مجهول يقتحم مركز البحوث ، ويلقى مصرعه برصاص رجال الأمن » .. اى سخف هذا ؟.

لم يبد له ان (حامد) قد سمع حرفا واحدا من حديثه ، فأمسك كتفه ، قائلا :

ــ ماذا بك ؟

التفت إليه (حامد) عاقدا حاجبيه ، ولوح بكفه قائلا فى توتر :

ــ هل تسالنى ؟.. الم يقلقك كل هذا الغموض ؟.. الم تثر كلمات الشاب حيرتك ؟

عقد (اشرف) حاجبيه بدوره ، وتمتم :

ــ بل اثارت رعبى ، ولكننى احاول تجاهل الأمر .

لوح (حامد) بكفيه مرة اخرى ، وقال فى عصبية :

ــ كيف له ان يعلم بأمر الكرة المضادة للجاذبية ؟.. بل كيف عرف بأمر رغبتى فى عرض الكشف فى المؤتمر الأمريكى ، ولم اكن قد اتخذت هذا القرار إلا قبيل لحظات ؟

تنهد (اشرف) ، وقال :

ــ ليتنى اعلم .

بدا (حامد) شديد التوتر ، وهو يقول :

ــ ولمــاذا وصف الكرة بانها لعينة ؟.. وما الذى يقصده بأن تدميرها افضل للجميع ؟

ضرب سطح المنضدة بقبضته فى غضب ، مستطردا :

ــ لمــاذا لقى مصرعه ، وترك لنا كل هذا الغموض ؟

اختطف الصحيفة فى حدة ، والقى نظــرة على الخبــر القصير ، ثم القاها مرة اخرى فى عنف ، وسأل (اشرف) :

ــ إلى أين نقلوا جثته ؟

اجابه (اشرف) :

ــ إلى مشرحة (زينهم) ، فلابد من تشريح جثته ، طبقا للقانون .

التقط (حامد) ســترته ، واتجــه إلى الباب ، فهتف به (اشرف) قلقا :

ــ إلى اين ؟

اجابه فى حزم :

ــ إلى مشرحة (زينهم) .

ثم التفت إليه ، مستطردا فى توتر :

ــ اريد ان اعرف اكثر .

واغلق الباب خلفه فى عنف ..

* * *

« نعم .. انا المسئولة عن فحص جثة الشاب المجهول »

تطلع الدكتور (حامد) فى دهشة إلى الشـــابة الفاتنة ، التى تقف أمامه فى هدوء ، بعد أن نطقت عبارتهـــا ، وهتف مستنكرا :

ـــ أنت ؟

قالت فى صرامة ، وهى تخلع معطفها الأبيض ، ليبدو من تحته ثوبها الأنيق البسيط :

ـــ وماذا فى هذا ؟

راقبها وهى تتجه إلى ما خلف مكتبها ، وتتخذ مجلسهـــا مرفوعة الراس فى اعتداد ، وقال :

ـــ أأنت طبيبة شرعية ؟

قالت فى تحد :

ـــ هل يحظر القانون هذا ؟

جلس وهو ينظر إلى جمالها فى حيرة ، وغمغم :

ـــ لا ، ولكننى اظنها مهنة شاقة ، لا تصلح للنساء ، و ..

مالت نحوه بغتة ، وقاطعته فى حزم :

ـــ لست اظننا هنا لمناقشة هذا .. اخبرنى اولا : لمـــاذا طلبت مقابلتى ؟

عجز عن الجواب لحظات ، امام فتنتهـــا ، ثم لم يلبث ان تنحنح ؛ ليستعيد رصانته ، وهو يقول :

ـــ اريد معرفة نتائج تشريح الشاب ، وفحص اشيائه .

صمتت لحظة ، ثم قالت :

ـــ ستجد كل هذا فى التقرير الرسمى ، الذى سأرسله للنيابة .

قال فى لهجة ، ادهشه ان بدت ضارعة :

ـــ لا .. ارجوك .. سيصيبنى الجنون ، ما لم اعـــرف ما توصلت إليه .

رمقته بنظرة شك قصيرة ، قبل ان تسأله :

ـــ هل يهمك الأمر إلى هذا الحد ؟

لوح بكفه ، قائلا :

ـــ ماذا كنت انت ستفعلين ، لو هاجمك شخص غامض فى معملك ، وتحدث إليك بعبارات مذهلة ، وكأنه يقرأ افكارك ثم لقى مصرعه ، قبل أن يفسر شيئا من هذا ؟

ظلت تتطلع إليه لحظات فى صمت ، ثم قالت فى بطء :

ـــ كنت سأجن حتما .

اعتدلت فى جلستها ، وسألته :

ـــ قل لى : هل سبق لك أن التقيت بهذا الشاب قبلا ؟

قال فى ضيق :

ـــ قلت لك إننى لم اره إلا عند اقتحامه معملى .

أومأت برأســـها متفهمة ، ثم نهضت من خلف مكتبهـــا ، واتجهت إلى صوان مغلق فى ركن الحجرة ، وهى تقول :

ـــ اثبت الفحص انه ذكر عادى ، فى أواخر العشرينات من عمره ، اصابته رصاصة مباشرة فى المخ ، كانت سببا فى

وفاته ، وأصابته قبلها رصاصة فى عظمة القص ، فى منتصف صدره ، مرت على بعد سنتيمتر واحد من الشريان الأورطى .

أخرجت مفتاحها ، وفتحت الصوان المغلق ، والتقطت من داخله عدة اكياس ، نقلتها إلى سطح مكتبها ، وهى تتابع :

ـ كل هذا امر بسيط ومعتـــاد ، حتى نصل إلى مرحلة فحص الثياب والمتعلقات .

التقطت قميص الشاب من احـــد الاكياس ، ووضعته أمام (حامد) ، متابعة :

ـ قل لى : كيف يبدو لك هذا القميص ؟

فحص القميص فى حذر ، وقال :

ـ إنه مجرد قميص عادى ، ولكنه جديد على الأرجح ، أو ...

قاطعته فى حزم :

ـ هراء .

بدت له مقاطعتها استفزازية ، فرفع عينيه إليها فى حدة ، إلا أنها تابعت دون أن تلتفت إليه :

ـ انظـــر هـــذا .. إنه ثقب الرصاصة ، التى اخترقت القميص ، قبل أن تخترق صدر الشاب .. فى المعتاد تكون أطراف القماش محترقة ، ومتهتكة ، وتلوث الدماء موضـــع

الرصاصة ، ولكنك لن تجد كل هذا هنا ، فثقب الرصاصة مستدير نظيف ، لا أثر فيـــه للاحتراق أو التهتك ، ولا توجد عليه نقطة واحدة من الدماء .

أمسك القميص مرة أخرى ، وراح يفحصه فى دهشـــة ، وهى تستطرد :

ـــ القماش نفسه من نوع عجيب ، فهو شديد النعومة والصلابة فى آن واحد ، وخيوطه قوية متماسكة على نحـــو عجيب .

مالت نحوه بغتة ، وهى تضيف فى حسم :

ـــ واسمعها كلمة من سيدة .. لا يوجد مثيل لهذا القماش فى العالم كله .

بهرته العبارة ، فتطلع إليها مشدوها ، وغمغم :

ـــ سيدتى .. إننى ..

قاطعته وهى تجلس على مقعدها :

ـــ اسمى (الفت) .. الدكتورة (الفت كمال) .

قال فى حيرة :

ـــ ما الذى يعنيه هذا يا دكتورة (الفت) ؟

رفعت سبابتها أمام وجهها ، وقالت :

ـــ لم يحن وقت الاستنتاج بعد .

التقطت كيسا آخر ، وأخرجت منه ورقتين ، ناولتهما له ، قائلة :

ـــ هذه البطاقة ، التى كان يحملها الشاب ، وهى تحمل

اسم (مريد أحمد طاهر) ، وهى تبدو طبيعية ، ولكنها ليست كذلك ، فهى والورقة الأخرى من نوع لم أره فى حياتى كلها من قبل ، ولقد استشرت زميلا يختص بدراسة أنواع الورق ، فأكد لى أنه لم يشهد مثل هذا الورق قط .. والورقة الأخرى مثيرة للحيرة أكثر ، فهى تحمـــل توقيع السيد وزير البحث العلمى ، والتوقيع سليم تماما ، ولكن الوزير لم يضع توقيعه على الورقة أبدا .

سألها فى دهشة :

ـــ ما معنى هذا اللغز ؟

قالت فى اهتمام :

ـــ لقد نقل أحدهم صورة من توقيع الوزير على الورقة ، باستخدام أسلوب أشبه بالتصوير .

واسترخت فى مقعدها ، وهى تضيف :

ـــ أسلوب غير معروف .

عقد (حامد) حاجبيه ، وهو يتطلع إليهـــا مليا ، قبل أن يسألها :

ـــ دكتورة (الفت) .. ما الذى تحاولين الإشارة إليه ؟

ابتسمت قائلة :

ـــ لا شىء بعد .. قلت لك إن وقت الاستنتاج لم يحن بعـــد .

قال فى توتر :

ـــ أهناك شىء آخر ؟

اجابته وهى تلتقط كيسا ثالثا :

ــ بالتاكيد .

التقطت حذاء الشاب اللامع المصقول من الكيس الثالث ، ورفعته أمام (حامد) ، وهى تقول :

ــ هذا الحذاء وحده معجزة ، يدفع صانعو الاحذية نصف عمرهم ، لمنع إنتاج مثله .

قال فى حذر :

ــ الانه شديد النعومة واللمعان ؟

ابتسمت قائلة :

ــ بل لانه من المستحيل الا يصبح كذلك ، فالحذاء من مادة مقاومة للاحتكاك ، يستحيل خدشها او تآكلها ، إلا باستخدام قاطع من الماس ، وطلاؤه من مادة عجيبة ، تطرد ذرات الغبار ، بوساطة مجال كهرومغناطيس محدود ، و ...

قاطعها فى ذهول :

ــ ما كل هذا ؟

استندت براحتيها إلى سطح المكتب ، وقالت :

ــ كل هذا عبارة عن خيوط تقود إلى استنتاج واحد يا دكتور (حامد) .

سألها فى لهفة :

ــ ما هو ؟

جلست باعتدال على مقعدها وتطلعت إليه لحظة ، ثم قالت فى حزم :

هو ان هذا الشاب ليس شابا ارضيا .. إنه من خارج عالمنا .. رجل من كوكب آخر ..

* * *

٣ ــ الزائر الآخر ..

مضت لحظات طويلة من الصمت ، و (حامد) يحدق فى وجه (الفت) ، قبل أن يبتسم ابتسامة مضطربة ، ويقول :

ــ دكتورة (الفت) .. هل تدمنين قراءة روايات الخيال العلمى ؟

أومأت براسها إيجابا فى رصانة ، وهى تقول :

ــ هذا صحيح ، ولكنه أمر لا علاقة باستنتاجى ، فهو استنتاج علمى محض .

ردد مستنكرا :

ــ علمى محض ؟!

ثم هتف فى حنق :

ــ اى علم فى هذا ؟.. إنه استنتاج خيالى محض .. استنتاج يستند إلى تناهات .

هزت كتفيها ، غير مبالية بثورته ، وهى تقول :

ــ هذه التناهات تعجز معاملكم ، فى مركز البحوث ، عن إنتاج مثلها يا دكتور (حامد) ، ولا توجد دراسة واحدة تؤكد توصل دولة اخرى إليها .

ومالت إلى الأمام ، تضيف فى لهجة ذات مغزى :

ــ فى كوكب الأرض .

على الرغم منه بدأ يقتنع بمنطقها ، إلا ان خوفه من صحة هذا الاستنتاج جعله يقول فى عناد :

ـ ولمـــاذا يهبط مخلوق من كوكب آخر ، ليقابلنى أنـــا بالذات ؟

قالت فى هدوء :

ـ ربما لأنك توصلت إلى كشف هام ، يهم أبناء الكوكب الآخر ، أو يمثل خطرا عليهم .

عقد حاجبيه ، وهو يسترجع كلمات الشاب قبل مصرعه ، وتسلل خوف مبهم إلى قلبه ، وهو يتمتم :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

ثم التفت إليها ، يستطرد فى حدة :

ـ هناك نقطة ضعف شديدة ، فى استنتاجك هذا .

سألته فى اهتمام :

ـ ما هى ؟

قال فى عصبية :

ـ التركيب التشريحى للشـــاب .. لقد قلت بنفسك أنه تركيب عادى .

ابتسمت قائلة :

ـ ومـــاذا فى هـــذا ؟.. أمن المحتـــم أن يختلف التركيب التشريحى لسكان الكواكب الأخرى عن تركيبنا ؟.

وتحولت ابتسامتها إلى ضحكة ، وهى تتابع :

ـ من منا صاحب الخيال الواسع إذن ؟

صمت لحظات ، وهو ينظر إليها ، ثم لوح بذراعه كلها ، هاتفا :

ـ لا .. لن يمكننى أن أصدق هذا .

فتحت فمها لتنطق شـــيئا ما ، إلا أن كل شىء احتبس فى حلقها ، مع اتساع عينيها فى انبهـــار ، وهى تتطلع إلى ذلك الشاب البالغ الوسامة ، الذى عبر باب حجـــرة مكتبها ، فى هذه اللحظة ..

كان وسيما بحق ، أشبه بنجوم السينما العالمية ، تشـــع عيناه ذكاء وقـــوة ، وتبـــدو قامته الممشوقة كقامة أبطـــال الرياضة ..

وعندما تحدث بلغ صوته قلبها مباشرة ، وهو يقول :

ـ أأنت الدكتورة (ألفت) ؟

التفت (حامد) إلى مصدر الصوت ، وتطلع إلى الشاب فى اهتمام بالغ :

وعلى عكس (ألفت) ، لم يهتم (حامد) كثيرا بوســـامة الشاب وأناقته وإنمـــا حـــدق فى ملابسه الجديدة الأنيقة ، وحذائه اللامع المصقول ، ثم لم يلبث أن سأله فى حدة :

ـ من أنت ؟

تجاهله الشاب تماما ، وهو يتطلع إلى الدكتورة (ألفت) ، التى همست مبهورة :

ـ نعم .. أنا الدكتورة (ألفت) .

ابتسم الشاب ابتسامة هادئة ، بدت لها أكثر ابتسامات العالم جمالا وجاذبية ، حتى أنها بادلته الابتسام دون وعى ، فى حين اتجه إليه (حامد) ، وكرر سؤاله ، فى لهجة أكثر حدة :

ـ سألتك من أنت ؟

التفت إليه الشاب فى هدوء ، وأجابه :

ــ أنا (سمير طاهر) ، شقيق (فريد) .

قال (حامد) فى حدة :

ــ كنت أعلم هذا .

أما (الفت) ، فقد نهضت من خلف مكتبها ، واتجهت إلى الشاب ، تسأله :

ــ أأنت شقيقه حقا ؟

لم يجب الشاب عن سؤالها ، وإنما تطلع بعينيه العسليتين الصافيتين إلى عينيها مباشرة ، وقال :

ــ دكتورة (الفت) .. كم يسعدنى أن التقى بك وجها لوجه .. إننى شديد الإعجاب بك منذ .. منذ ..

لم يكمل هذه العبارة ، بل لاذ بالصمت بغتة ، فسألته هى فى فضول :

ــ منذ ماذا ؟

أبتسم قائلا :

ــ منذ زمن طويل .. طويل للغاية .

شعرت بحيرة شديدة لجوابه ، إلا أن حيرتها لم تلبث أن دفعتها إلى إطلاق ضحكة مرتبكة ، هى تقول :

ــ ولكننى لست عجوزا إلى هذا الحد .

قطع (حامد) هذا الحديث ، عندما أمسك ياقة (سمير) فى عنف ، وهو يقول فى حدة شديدة :

ــ قل لى يا فتى : من أين أتيت بهذه الثياب ؟

استدار إليه (سمير) فى بطء ، وتطلع إليه لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ــ لماذا ؟.. هل ترغب فى شراء مثلها ؟

وبحركة حادة مباغتة ، اختطف (حامد) قدح ماء ، من سطح مكتب (الفت) ، وألقاه على قميص (سمير) فى عنف ، هاتفا :

ــ لا .. ارغب فى اختبارها فحسب .

وأمام أعين الجميع ، وارتطمت المياه بقميص (سمير) ، ثم انزلقت عنه فى حدة ، وانسكبت على الأرض ، دون أن تترك أدنى أثر للبلل ، على القميص ، فهتف (حامد) ، وهو يلتفت إلى (الفت) :

ــ هل رأيت ؟.. ها هو ذا مخلوق فضائى آخر .

قال (سمير) فى صرامة :

ــ أى هراء هذا ؟

أما (ألفت) فقد تراجعت خطوة إلى الخلف ، وتطلعت مرة أخرى إلى (سمير) ..

لم يبد لها أبدا كمخلوق من خارج الأرض ..

انه ـ على العكس ـ يشبه تماما فتى أحلامها ، الذى رسمه لها خيالها ، منذ كانت فتاة مراهقة ، فى المرحلة الثانوية ..

وفى حيرة ، سألته :

ـ من أنت حقا ؟

عاد يتطلع إليها ، وقال فى هدوء :

ـ أنا مخلوق من كوكب الأرض .. صدقينى .

كان يتحدث فى صدق تام ، حتى أنها صدقته على الفور ، ولاذت بالصمت التام ، فى حين قال (حامد) فى حدة :

ـ ما تفسير كل هذا إذن يا رجل الأرض ؟.. كيف حصلت انت وشقيقك على كل هذه الأشياء ؟.. وكيف أدرك شقيقك ما يدور فى ذهنى ، قبل ان أبوح به لأحد ؟

نقل (سمير) بصره إليه ، وقال فى حزم :

ـ ألنت الدكتو (حامد شوقى) ؟

أجابه (حامد) فى عصبية :

ـ نعم .. هو أنا .

استدار إليه (سمير) بجسده كله ، وقال :

ـ إننى أحمل إليك رسالة .

قال (حامد) :

ـ اية رسالة ؟

فى حزم أجابه (سمير) :

ـ نفس الرسالة التى عجز (فريد) عن إبلاغك بها .. لقد توصلت صباح أمس إلى كشف علمى خطير .. أليس كذلك ؟

حدق (حامد) فى وجه (سمير) فى دهشة ، ثم عقد حاجبيه ، قائلا فى حزم وصرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

قال (سمير) فى لهجة قوية ، وكأنما لا يعنيه اعتراض (حامد) :

ـ لقد توصلت صباح أمس بمعاونة زميلك الدكتور (أشرف مراد) ، إلى صنع أول مادة مضادة للجاذبية ، وصنعتها النموذج الأول منها على هيئة كرة سوداء مصقولة ، شديدة اللمعان ، وانت تنوى عرض الكشف فى مؤتمر أبحاث الفضاء ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أسبوعين تقريبا .

هتف (حامد) فى ذهول :

ـ كيف تعلمون كل هذا ؟

مرة أخرى تجاهله (سمير) تماما ، وقال فى صرامة :

ـ دمر تلك الكرة السوداء اللعينة يا دكتور (حامد) .. دمرها قبل فوات الأوان .

حدق (حامد) و (ألفت) فى وجه (سمير) فى دهشة ، وهتف (حامد) :

ـ ماذا تعنى ؟

واصل (سمير) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ لا تعرضها ابدا فى المؤتمر الأمريكى .. لن يمكنك ان تتصور ما سيفعله بها الأمريكيون .. إنهم شعب يسعى دوما للقوة والسيطرة ، ولن يكتفوا بالاستخدام السلمى لـ (الانتيجرافيوم) ، بل سيحولونه إلى وسيلة رهيبة للدمار ، و ..

قاطعه (حامد) فى دهشة :

ـ (انتيجرافيوم) ؟!

ثم امسك سترة (سمير) فى عنف ، مستطردا :

ـ كيف علمت هذا الاسم ؟.. إننى حتى لم اخبر به (اشرف) .. بل لم انطق به ابدا .. لقد دار فى ذهنى فقط ، و ...

اتسعت عيناه فى شدة ، وبتر عبارته ليهتف :

ـ الآن فهمت .. إنك انت وشقيقك المزعوم هذا من عالم آخر بالفعل .. إنكما ..

استوقفه (سمير) فى صرامة :

ـ كفى يا رجل .. لست مستعدا لخوض هذا الجدل السخيف .. إن مهمتى هنا محدودة ، فإما ان تدمر كرة (الأنتيجرافيوم) ، أو ..

بدت لهجته مخيفة ، وهو يضيف :

ـ او اقتلك .

* * *

٤ ـ من أين ؟ ..

انتفض جسد (الفت) ، عندما سمعت (سمير) ينطق كلمته الأخيرة ، وتراجعت فى حدة ، هاتفة فى استنكار :

ـ تقتله ؟!

التفت إليها (سمير) ، وقال فى صرامة :

ـ لا تسيئى فهمى يا سيدتى .. لست قاتلا ، ولا حتى أميل إلى القتل ، ولكن الأمر اخطر مما يمكنك تصوره .. إنه مستقبل العالم كله .. مستقبل الحضارة والتقدم .

صاح به (حامد) :

ـ ومن انت حتى تدعى العلم بما ستفعله مادتى فى العالم والحضارة ؟.. من ادراك انها لن تكون بابا لمزيد من الحضارة والتقدم ؟

هتف به (سمير) :

ـ ستكون كذلك فى البداية فحسب ، ثم ..

صرخ به :

ـ لا شأن لك بما سيحدث بعد هذا .

اتجه إليه (سمير) فى صرامة ، وقال :

ـ اسمع يا دكتور (حامد) .. كان المفروض ان يتم (فريد) المهمة بنفسه ، ولم يكن من الممكن ان آتى انا ، ما لم يلق هو مصرعه ؛ لهذا اجهل الكثير عن كل شىء هنا ، ولكن هذا لن يمنعنى من إتمام المهمة ، حتى ولو كلفنى هذا حياتى .

تراجع (حامد) فى حدة ، وهتف :

ـ لقد فهمت .. إذن فانت جاسوس .. جاسوس علمى .

واندفع فجاة خارج المكتب ، صائحا :

ـ امسكوه .. امسكوا الجاسوس .

التفت (سمير) إلى (الفت) فى حركة عنيفة ، خفق لها قلبها ، ثم اندفع يغادر مكتبها ..

ومن الخارج تناهت إلى مسامعها جلبة وضجة ، تمتزج بصيحات الدكتور (حامد) :

ـ امسكوه .. اقتلوه .

شعرت بساقيها ترتجفان ، فتركت جسدها يهوى على مقعدها خلف مكتبها ، وراح قلبها ينبض فى عنف ، وهى تتمتم :

ـ لا .. لا تقتلوه .

خيل إليها انها قد غرقت حتى اذنيها ، فى حب ذلك الشاب الغامض ، الذى لم تره إلا منذ لحظات ..

بل لقد خيل إليها انها تراه طيلة عمرها ، وتذوب فى حبه منذ صباها ..

إنه صورة طبق الأصل من فارسها ..

فارس الأحلام ..

لم يكن لديها تفسير منطقى لذلك الشعور الجارف المفاجىء ، ولكنها لم تحاول مقاومته ..

لقد تركت قلبها يخفق له فى استسلام ..

وانتفض جسدها ، عندما دوى طلق نارى فى الخارج ..

وانكمشت فى مقعدها فى هلع ، وهى تغمغم :

ـ اجعله ينجو يا إلهى .. اجعله ينجو .

مضت دقائق قبل ان يدلف (حامد) إلى حجرتها ، وهو يقول محنقا :

ـ لقد نجح فى الفرار .

تنهدت فى ارتياح ، فى حين استدرك هو :

ـ ولكنهم اصابوه برصاصة .

شحب وجهها ، وهى تتمتم :

ـ اصابوه ؟!

أجاب :

ـ نعم .. لقد ترك خلفه قطرات من دمه .

ثم التفت إليها مستطردا فى حزم :

ـ ومنها سنجد حل اللغز .. لغز كل هذا الغموض ..

* * *

مط الدكتور (أشرف) شفتيه ، وهو يقول للدكتور (حامد) فى حيرة :

ـ مجرد عينة دم عادية ، من فصيلة (أ) سالبة .

ردد (حامد) فى دهشة :

ـ عينة عادية ؟

سأله (أشرف) بابتسامة مترددة :

ـ ماذا كنت تنتظر ؟.. فصيلة دم نادرة ؟

قال محنقا :

ـــ بل فصيلة لا وجود لها على كوكب الأرض .

مال (اشرف) إلى الأمام ، وهو يتطلع إليه فى دهشـــة ، ثم تراجع يسأله :

ـــ ما معنى هذا يا (حامد) ؟

وبـــلا تردد ، روى له (حامد) كل ما حدث بينـــه وبين (الفت) ، واستمع إليه (اشرف) فى دهشة بالغة ، ثم هز رأسه فى حيرة ، مغمغما :

ـــ يا إلهى !.. على الرغم من غرابة استنتاج الدكتورة (الفت) ، إلا انه يبدو لى منطقيا إلى حد ما .

قال (حامد) فى حنق :

ـــ العجيب انه يبدو لى كذلك ايضا .

والتفت إليه مستطردا فى انفعال شديد :

ـــ هذا الأمر يطوى فى اعماقه سرا عجيبا مخيفا ؟ فعندما اقتحم الشاب الأول معملى ، وقال ما قالـــه ، تصورت انه يوجد جهاز تصنت هنا ، ينقل ما يدور بيننا إلى جهة تجسس اجنبية ، ينتمى إليها الشاب ، ولكن بعد أن اخبرنى الثانى بالاسم الذى اقترحه ذهنى للمـــادة المضـــادة للجاذبية ، أصابنى الذهول ، فلم اكن قد بحت به لمخلوق واحد ، ولا حتى كتبته على ورقة ، أو رددته بينى وبين نفسى ..

لقد كان مجرد فكرة ، فكيف توصل إليه ؟

غمغم (اشرف) :

ـــ لست ادرى .

ثم اعتدل مضيفا فى حسم :

ـــ ولكن الأمر كله يحتاج إلى إجراء حازم فورى .

سأله فى قلق :

ـــ ما هو ؟

اجابه (اشرف) ، وهو يتجه إلى الهاتف :

ـــ حمايتك .

واضاف هو يدير قرص الهاتف :

ـــ وبأى ثمن .

* * *

لم تكن ليلة عادية بالنسبة لـ (الفت) ..

لقد ظلت تتقلب فى فراشها فى أرق ، حتى ادركت انها لن تنعم بطعم النوم هذه الليلة ، فاستلقت على ظهرها صامتة ، وراحت تحدق فى سقف الحجرة فى شرود ..

وسبح ذهنها إلى (سمير) ..

كيف خلب لبها بهذه السرعة ؟..

كيف غرقت فى حبه على هذا النحو ، وهى لا تعلم شـــيئا عنـــه ؟..

أهو الحب من أول نظرة ؟..

لا .. إنها لم تؤمن ابدا بمثل هذا الحب ..

ولكنها الآن غارقة فيه حتى النخاع ..

راحت تسترجع كل ما حـــدث ، واستوقفها امر لم يلفت انتباهها كثيرا فى وقته ..

صحيح أن (سمير) يتحدث العربية ، وبلهجة مصرية ، ولكن لكنته بها شيء غامض غريب ..

شيء يصعب عليها إدراكه ، ولكنها تشعر به ..

ثم إن منشاه ما زال غامضا بالنسبة إليها ..

أهو مخلوق أرضى بالفعل ، كما قال ؟..

أم أنه زائر فضائى ؟..

وما سر كل هذا الغموض ..

نهضت من فراشها ، وارتدت روبا منزليا ، واتجهت إلى مطبخها ، لتعد لنفسها قدحا من الشاى ، ولكنها لم تكد تضيء المطبخ ، حتى تراجعت وهى تطلق شهقة ذعر ودهشة ..

لقد وجدته أمامها ..

(سمير) بنفسه كان يجلس على مقعد مجاور لصيدلية طوارىء صغيرة ، فى ركن المطبخ ، مرتديا منظارا عجيب الشكل ، ومنهمكا فى تضميد جرح بذراعه ..

وبكل دهشتها هتفت :

ـ أنت ؟!

التفت إليها فى بطء ، ورفع منظاره العجيب عن عينيه ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا .. معذرة .. لم أجد مكانا ألجأ إليه سوى هذا .

هتفت :

ـ أأنت مصاب ؟

أجابها فى هدوء :

ـ إصابة بسيطة ، فالرصاصة عبرت الذراع ، دون أن تحطم عظامها ، أو تستقر داخلها .

أسرعت إليه ، تعاونه فى تضميد جراحه ، واستسلم هو إليها تماما ، حتى انتهت من عملها ، فاعتدلت تتطلع إليه فى حيرة ، وسألته :

ـ لم كان هذا المنظار العجيب ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ للرؤية فى الظلام .

جذبت مقعدا آخر ، وجلست أمامه مباشرة ، تتطلع إلى عينيه المسليتين فى صمت ، حتى قال هو :

ـ لم انجح أبدا فى الوصول إلى الدكتور (حامد) .. لقد أحاطوه بحراسة بالغة .

سألته فى اهتمام :

ـ لماذا تصر على تدمير اختراعه هذا ؟

أشاح بوجهه مغمغما :

ـ من أجل البشرية .

سألته بعد برهة من الصمت :

ـ أما زلت تصر على إحاطة نفسك بكل هذا الغموض ؟

التفت إليها ، وقال فى صوت خفيض :

ـ إننى مكره .. صدقينى .. من الضرورى أن أبلغ الدكتور (حامد) الليلة ، وأحاول إقناعه بتدمير كشفه هذا ، وإلا ضاع كل شىء .

سألته بكل فضولها وحيرتها :

ـ لماذا ؟

ازدرد لعابه ، وقال :

ـ قلت لك إنه مستقبل البشرية كلها يتوقف على تدمير هذا الكشف ، وعدم وصوله لعلماء (أمريكا) .

بقيت صامتة ، تتطلع إليه لحظات ، ثم قالت :

ـ اسمع يا (سمير) .. الأسلوب الغامض الذى تتبعه ، لا يساعد أبدا على أن يتفهم أى شخص موقفك ، فما بالك بعالم توصل إلى كشف هائل ، سيقلب كل الموازين العلمية راسا على عقب ، ثم تأتى أنت وتطالبه بتدمير هذا الكشف ، وكتمانه ، وحرمان نفسه من نصر علمى رائع ، سيخلد اسمه فى التاريخ ، دون أن تشرح له حتى لماذا عليه أن يفعل هذا ؟

بدت الحيرة فى عينيه ، وغمغم :

ـ لست أدرى .. لم يكن المفروض أن أفعل أنا هذا .

سألته فى لهفة :

ـ ماذا تعنى يا (سمير) ؟.. أخبرنى بكل ما لديك .

تردد لحظة ، ثم أجاب :

ـ المفروض أن (فريد) هو المسئول عن هذه المهمة ، وهو الذى درس كل التفاصيل ، وكل المعلومات ، ولكن مصرعه أربك كل شىء ، وكان على أن أخاطر بالانتقال إلى هنا ، ومحاولة إتمام المهمة ، وإلا ضاع الأمل الأخير .

سالته :

ـ لمـــاذا يا (سمير) ؟.. من اين اتيت انت ؟.. ومن اين اتى (فريد) ؟..

اهو شقيقك حقا ؟!.. امن الممكن ان ..

قاطعها بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ رويدك يا دكتورة (الفت) .. لا يمكننى استيعاب كل هذه التساؤلات دفعة واحدة .

قالت فى حرج :

ـ يبدو اننى ثرثارة للغاية .

اجابها فى سرعة :

ـ مطلقا .. كل الدراسات عنك اثبتت انك قليلة الكلام، وانك عبقرية فى ابحاثك عن مشـــتقات الـــدم والبصـــمات الجينية ، و ...

قاطعته فى دهشة :

ـ الدراسات ؟!.. ايـــة دراسات يا (سمير) ؟.. ثم ما تلك الابحاث التى تتحدث عنها ؟ إننى لم اجر اية ابحـــاث بعد .

تطلع إليها فى انزعاج ، ثم تنهد قائلا :

ـ قلت لك إننى لست مؤهلا لتلك المهمة .. حسنا .. سأروى لك القصة كلها .

واطلعها على السر بالفعل ..

***

٥ ـ السـر ..

القى ضابط الشرطة المكلف حراسة منزل (حامد شوقى) ، نظرة طويلة على (الفت) ، التى وقفت امامه مرتبكة ، داخل معطف مضاد للمطر ، وقد ضاعف التوتر من إحساسها ببرودة الجو ، وسالها فى شك ، يصبغ عادة اسئلة رجال الشرطة :

ـ ولمـــاذا ترغبين فى مقابلة الدكتور (حامد) ، فى مثل هذا الوقت المتاخر ؟

اجابته فى ضيق :

ـ إنه امر خاص بالعمل ، لا يحتمل التاخير ، ولقد اتصلت بالدكتور (حامد) ، وهو مستعد لاستقبالى ، و ...

قاطعها فى حزم :

ـ اعلم هذا .

ثم اضاف بنفس لهجة الشك :

ـ هل تعلمين انه غير متزوج ؟

قالت فى حنق :

ـ لا .. لم اكن اعلم هذا .

اومأ براسه بلا معنى ، وهو يمط شفتيه ، ثم قال :

ـ حسنا .. اصعدى إليه .

اسرعت تستقل المصعد إلى شقة الدكتور (حامد) ، الذى استقبلها فى لهفة واضحة ، واسرع يغلق باب الشقة خلفها ، وهو يسالها :

ـ هل تعلمين اين هو حقا ؟

أومأت برأسها إيجابا ، وبدت له شاحبة إلى حد ما ، وهى تقول :

— هو الذى أرسلنى إليك .

حدق فى وجهها ، وهو يقول فى دهشة :

— هو أرسلك ؟!.. ماذا تعنين ؟

أشارت إليه ، قائلة :

— اجلس يا دكتور (حامد) ، فما ستسمعه منى سيجعلك عاجزا عن الوقوف حتما .

كان قولها يكفى لأن يترك نفسه يسقط على مقعد قريب ، وهو يقول فى شحوب :

— إلى هذا الحد ؟

خلعت معطفها ، وبدت قلقة ، وكأنما تبحث عن بداية مناسبة لحديثها ، قبل أن تقول بغتة :

— لقد اقنعنى (سمير) بفكرته .

ردد فى دهشة وحيرة :

— اقنعك ؟!

فركت كفيها فى توتر ، وهى تسير فى الردهة ، قائلة :

— كانت هناك أكثر من نقطة غامضة ، تثير حيرتى بشأنه ، مثل لهجته العجيبة ، وثيابه ، ومعرفته لما يستحيل أن يعرفه الشخص العادى ، إلا أنه فسر لى كل هذا .

جف حلقه ، وهو يسألها :

— أهو من كوكب آخر ؟

هزت رأسها نفيا ، وابتسمت فى اضطراب ، وهى تقول :

— لا .. صحيح أن هذا الحل سيبدو أقرب إلى عقولنا ، بعد كل ما قرأناه من روايات الخيال العلمى ، إلا أن الحقيقة أكثر غرابة .

توقفت بغتة ، واستدارت إليه تستطرد فى سرعة ، وكأنما تخشى أن تفارقها شجاعتها ، لو صمتت أكثر من هذا .

— إنه من المستقبل .

بدا الجواب مذهلا ، بالنسبة لـ (حامد) ، الذى اتسعت عيناه ذهولا ، وراحت شفتاه تنفرجان وتنطبقان ، كما لو أنه يقول شيئا ، أو يعجز عن قول شىء ما ، فتابعت (الفت) فى توتر :

— لقد أتى من عصر يفوقنا بقرنٍ واحد من الزمان ، حيث بلغت العلوم شأنا لا يمكننا تخيله الآن ، مع سرعة تطور الأبحاث والتكنولوچيا ، وقبل أن يأتى بشهر واحد ، انفجرت فى العالم أول قنبلة مضادة ، وهى عبارة عن قنبلة من المادة المضادة ، تتفاعل مع كل ذرة طبيعية على الأرض ، ولقد كان انفجارها مروعا ، قضى على ثلاثة أرباع سكان العالم ، وحطم كل حضارات الأرض تقريبا .

ردد (حامد) :

— يا للهول !.. أهى شديدة التدمير إلى هذا الحد ؟

نظرت إليه ، وقالت :

— هذه القنبلة هى تطوير مباشر للمادة التى اخترعتها أنت .. (الأنتيجرافيوم) .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، مرددا :

ـ يا إلهى !

واصلت فى توتر :

ـ لهذا قرر (سمير) و (فريد) أن يقوما بمحاولة يائسة ؛ لمنع هذه الكارثة المروعة للأرض والحضارة ، وكانت لديهما آخر آلة زمن فى العالم ، بعد أن دمر الانفجار كل الآلات الأخرى ، ولم يكن أيهما يجيد استعمالها على نحو تام ، إلا انهما قررا أن يخاطر أحدهما بالعودة إلى زمننا ، ومحاولة منع إنتاج (الأنتيجرافيوم) ، لعل ذلك يمنع كارثة المستقبل .. وعاد (فريد) إلى زمننا ، بعد أن صنع من اقمشة عصره ثيابا تشبه ثياب عصرنا ، وارتدى حذاء يشبه احذيتنا ، وتزود ببطاقة وتصريح دخول ، صنعهما له جهاز الناسخ الآلى ، كما يسمونه فى عصره ، واتى إلى هنا ، وحاول مقابلتك ، ولكنه لقى مصرعه ..

التقطت انفاسها ، و (حامد) ينظر إليها فى ذهول ، ثم تابعت :

ـ وعادت آلة الزمن إلى (سمير) ، وأدرك من عودتها خالية أن زميله قد لقى مصرعه ، فانتقل بالآلة إلى هنا ، وهو يعلم أنها مخاطرة شديدة ، فالآلة لن تحتمل رحلة ثالثة ، ولن تبقى فى عصرنا إلا ساعات محدودة ، وسترحل بعد ساعتين عائدة إلى عصره ، حيث ستنسف نفسها بنفسها .

ازدردت لعابها ، وصمتت لحظة ، ثم أضافت :

ـ كان الزمن أمامه محدودا ، عليه فى خلاله أن يقنعك

بتدمير الاختراع ، ولكنه أصيب ، وعجز عن الوصول إليك ، والمهلة أمامه تتناقص .

سألها (حامد) بغتة :

ـ ولكن ما علاقة هذا بلهجته ؟

أجابته فى عصبية :

ـ اللهجات تتبدل مع الزمن .. اليس كذلك ؟

غمغم وهو يتراجع فى مقعده :

ـ هذا صحيح .

ازدردت لعابها مرة أخرى ، وعادت تقول :

ـ لهذا كان (فريد) يعلم كل شىء عن كرتك اللامعة ، وعن المؤتمر الأمريكى ؛ لأن هذا بالنسبة إليه مجرد تاريخ ، حتى ولو كان بالنسبة إليك لم يُولد بعد .. إنها فكرة معقدة ، ولكن (البرت اينشتين) أشار إليها فى نظرية النسبية ، اليس كذلك ؟

غمغم :

ـ هذا صحيح .. لقد قال إن الزمن نسبى ، وإننا نحن نسير فيه ، إلى الأمام ، ويمكننا ان نسير فيه إلى الخلف ، لو امتلكنا الطاقة اللازمة لهذا .

قالت فى خفوت :

ـ نعم .. لقد قرأت هذه النظرية .

ثم تابعت بسرعة :

ـ ولنفس هذا السبب كان (سمير) يعرف اسم (الأنتيجرافيوم) ، قبل أن تذكره أنت لأحد .

ران عليهما صمت تام ، بعد عبارتهـا الأخيرة ، ثم رفع (حامد) رأسها إليها ، وقال :

ـ ولكن ما الدليل على هذا ؟

قبل أن تجيبه ، هب من مقعده ، مستطردا :

ـ من ادراك وادرانى أن كل هذا ليس مجرد خدعة من جهاز مخابرات معاد ، أو شـبكة تجسس علمية ، أو ...

قاطعته فى حزم :

ـ أيبدو لك الأمر كذلك ؟

صمت لحظات فى حيرة ، ثم قال فى حدة :

ـ لا .

راح يسير بدوره فى الردهة كليث حبيس ، وهو يقول :

ـ ولكنك لا تدركين ما يعنيه هذا .. لو لم أعلن أنا عن كشفى لـ (الانتيجرافيوم) ، فسيتوصل إليه عالم آخر ، من أية دولة أخرى ، فلقد كنت أسـتند إلى نظريـات علمية معروفة ، ولم أصنع معجزات .. والتاريخ لا يمكن تغييره .. كل ما سيحدث هو أننى سأخسر السبق .

قالت فى بطء :

ـ وهل ستربح تدمير العالم كله ؟

كان من الواضح أن صراعا هائلا يدور فى أعماقه ، ما بين رغبته فى إعلان كشفه العلمى المذهل ، وخوفه من نتائج هذا الكشف ، ثم لم يلبث أن انهار على مقعده ، وقال :

ـ لا يمكننى أن أخاطر بتسليم (الانتيجرافيوم) إلى أى مخلوق .

هزت رأسها قائلة :

ـ وهو لا يطلب الحصـول عليـه ، بل يسألك تدميره فحسب .

خفض عينيه لحظات ، ثم رفعهما إليها ، قائلا فى حزم :

ـ سأفعل .

ثم أضاف فى حماس :

ـ من أجل أحفادى ، وأحفاد أحفادى سأفعل .

ابتسمت فى ارتياح ، وقالت :

ـ أحسنت .

واتجهت فى سرعة نحو الباب ، فسألها متوترا :

ـ هل سترحلين بهذه السرعة ؟

تطلعت إلى ساعتها ، وقالت :

ـ الوقت يمضى بسرعـة ، ولابد من بلوغ آلة الزمن ، فوق قمة المقطم ، قبل مضى ساعة ونصف الساعة فقط .

تردد لحظة ، ثم قال مستسلما :

ـ اذهبى إذن .

فتحت الباب ، والتفتت إليه تقول :

ـ دكتور (حامد) .. لقد وعدت .

أومأ برأسه قائلا :

ـ اطمئنى .

أغلقت الباب خلفها ، وأسرعت إليه ..

إلى الرجل الذى امتلك قلبها ..

عبر الزمن ..

* * *

لم تتبادل (الفت) كلمة واحدة مع (سمير) ، وهى تنطلق معه فى سيارتها ، إلى قمة المقطم ..

كانت تخشى ان تفتح شفتيها ، حتى لا تنفجر باكية ..

وسالت دموعها فى حرارة لفراقه ..

إنه سيرحل عنها ..

سيرحل إلى عصر يتقدم عصرها بقرن كامل من الزمان ..

وهى تنقله بنفسها وبسيارتها إلى آلة الفراق ..

وفى تردد ، سالها (سمير) :

— هل تثقين فى كلمة (حامد) ؟

قالت محاولة كبت دموعها :

— اطمئن .

ران عليهما الصمت لحظات اخرى ، ثم تسللت اصابع (سمير) تداعب شعرها الاسود الناعم ، وهو يقول فى همس حالم :

— الامر يشبه الحلم بالنسبة لى .. لم اتصور ابدا اننى سالتقى بك ، وانا الذى يذوب فى هواك منذ ..

بتر عبارته مرة اخرى ، فسالته :

— منذ ماذا ؟.. لا يوجد ما يمنعك من الإفصاح هذه المرة .. اليس كذلك ؟

ابتسم قائلا :

— هذا صحيح .

صمت لحظة ، ثم التفت إليها قائلا :

— منذ طفولتى .

صدمتها العبارة ، فهتفت مستنكرة :

— طفولتك ؟!.. إننى لست ..

قاطعها فى رقة :

— كنت أعلم ان هذا لن يروق لك ، ولكنها الحقيقة ، فانت فى عصرى نابغة من نوابغ التاريخ ، نقرا حياتك فى انبهار .

سالته فى فضول :

— هل تعرف كل تفاصيل حياتى ؟

قال فى حزم :

— لن اخبرك بحرف واحد منها ، فلقد تعلمنا منذ حداثتنا انه محظور تماما التدخل فى التاريخ ، فلا احد يعلم عواقب هذا .

ثم شرد ببصره متمتما :

— حتى فى مهمتنا هذه ، ما زلنا نجهل ما إذا كان باستطاعتنا تغيير التاريخ أم لا .

سالته :

— وكيف ستعرف ؟

هز كتفيه ، واجاب :

— سأعرف تلقائيا ، عندما اعود إلى عالمى ، فلو نجحت مهمتنا لن يكون هناك خراب او دمار ، أما لو ...

لم يستطع إتمام عبارته ، فاسرعت (الفت) تقول :

— سنبلغ قمة المقطم بعد قليل .. اطمئن ، ما زالت امامك نصف الساعة ، قبل ان ترحل آلة الزمن .

ترقرقت دمعة فى عينيها ، وهى تستطرد فى تردد :

ـ أمن الضرورى أن ترحل ؟

تطلع إليها بعينين حزينتين ، وقال :

ـ لست ادرى .

قالت فى أسى :

ـ ماذا يمكن يحدث لو ...؟

فجأة ، وبلا مقدمات ، اعتصر الألم جانبها ، فأطلقت صرخة جعلته يهتف فى هلع :

ـ ماذا حدث ؟

ضغطت كامح سيارتها فى قوة ، وهى تقول فى ألم :

ـ آلام الكلى يا (سمير) .. إننى أعانيها منذ .. منذ ..

أمسكها فى جزع ، قائلا :

ـ لا تتحدثى .. اخبرينى : اى دواء تتناولين ، فى مثل هذه الحالة ؟

هتفت وآلامها تتضاعف ، إلى حد لم تبلغه أبدا من قبل :

ـ لست احمل الدواء .. الآلام رهيبة هذه المرة .. لابد انها برودة الجو .. أو ...

أطلقت صرخة أخرى ، ثم تراخى جسدها فجأة بين ذراعيه ، فصاح :

ـ (الفت) .. ماذا أصابك ؟

أدرك من العرق المتصبب على جبينها أنها فقدت الوعى من شدة الألم ، وتطلع إلى ساعتها فى قلق ..

الوقت يمضى بسرعة ، وسترحل آلة الزمن ..

و (الفت) تحتاج إلى عناية ؛ لينقلها إلى اقرب مركز إسعاف ..

عليه أن يختار ، وأن يقرر .

وبسرعة ..

وبلا تردد ، اتخذ قراره ، وأزاحها عن عجلة القيادة ، وادار المحرك ..

وانطلق ..

* * *

فتحت (الفت) عينيها فى المستشفى ، وابتسمت فى تهالك ، عندما رأت أمامها (سمير) ، وغمغمت :

ـ ماذا حدث ؟.. هل أصابتنى غيبوبة ؟

ربت على كفها فى حنان ، وهو يقول :

ـ أنت الآن بخير .

حملت نبراته كل ما يزخر به قلبه من حب لها ، فابتسمت فى سعادة وحب ، ثم لم يلبث بصرها أن وقع على عقربى الساعة الصغيرة ، المعلقة على الحائط ، فاتسعت عيناها فى رعب ، وهبت من فراشها هاتفة :

ـ يا إلهى !.. موعدك .

امسك كتفيها فى رفق ، وابتسم فى حب ، وهو يقول :

ـ لقد رحلت آلة الزمن .. لا تقلقى نفسك بهذا .

شعرت بتأنيب الضمير ، وهى تقول :

ـ أنا المسئولة .. لقد حرمتك من عالمك .

مس شفتيها بأنامله ، ليوقفها عن الحديث ، وهو يقول :

ـ بل منحتنى عالما من الحب .. عالمك أنت يا (ألفت) .. صحيح أننى لن أعلم أبدا ما إذا كنت قد نجحت فى مهمتى أم لا ، ولكننى سأترك الجواب للزمن ، وسأبقى فى عالمك ، ما دام الحب يربط قلبينا معـــا ..

ترقرقت عيناها ، بدموع السعادة ، وهى تهتف :

ـ (سمير) .. إننى .. إننى ..

قال فى حب :

ـ اعلم .. انا ايضـــا احبك .. إنه قدرى : أن أحيا فى عصر يسبق مولدى بأكثر من نصف قرن .

ثم ابتسم مستطردا :

ـ ولكن هذا يبدو طريفا .. اليس كذلك ؟

ومرة اخرى فى التاريخ ، هزم الحب كل الحواجز ..

حتى حاجز الزمن ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٨٩ / ٥٠٠١
١ ـ ٣٢٠ ـ ١٦٣ ـ ٩٧٧

حلول اختبر معلوماتك

١ ــ أبو الحسن ثابت الحرانى .
٢ ــ محمد بن أحمد بن إياس .
٣ ــ التنبيه والإشراف .
٤ ــ ١١٣٧ م .
٥ ــ الأمير (حيدر) .
٦ ــ جوهر الصقلى .
٧ ــ الفــارابى .
٨ ــ المتنبى .
٩ ــ التنكيت والتبكيت .
١٠ــ ٧١١ م .
١١ــ أبو على الحسين بن سينا .
١٢ــ ابن بطوطة .
١٣ــ أبو عبد الله .
١٤ــ أبو فراس الحمدانى .
١٥ــ عبد العزى بن عبد المطلب .
١٦ــ اكتيــوم .
١٧ــ أبو عبد الله الإدريسى .
١٨ــ الأغانى .
١٩ــ المماليك .
٢٠ــ ابن ماجد .

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

- الدخـــان (قصة قصيرة) ٥
- اختبر معلوماتك ٩

العقرب
سلسلة جديدة
الإمبراطورة ١٣

- خلف أسوار العقل (دراسة) ٩٥

أرزاق

- رواية اجتماعية طويلة .. ١٠٥
- انتقـــام (قصة قصيرة) ١٤٨

قصـة العدد

الزائر الغامض ١٥٧

- حلول اختبر معلوماتك ... ٢٠٦
- عـزيزى القـارئ ٢٠٧

الثمـــن فى مصـــر
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم